تَمَنِّي المَوتِ فِي الشِّعْر الأَنْدَلُسِيِّ

د . مروة شحاته محمود الشقرفي
مدرس الأدب العربيّ
قسم اللغة العربيَّة وآدابها واللغات الشرقيَّة وآدابها
كليَّة الآداب – جامعة دمنهور

إصدار فبراير لسنة2016
شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

المُلَخَّص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الأسباب التي جَعَلَتْ بعض شعراء الأندلس يتطلعون إلى الموت في شوقٍ ؛ لشعورهم بانعدام المُتْعَة في الحياة ، التي ليس فيها شيءٌ يستحق أن يعيش الإنسان من أجله .

فرأى الشاعرُ الأندلسيّ أنه من الأفضل له أن يموت على أن يبقى على قيد الحياة ، ومَنْ يَتَمَنَّى الموت فلا شك أنه بَلَغَ مبلغًا عظيمًا من القلق والاضطراب ؛ بحيث حاصرته الهُمُوم مِن كُلّ جانب ، وأَفْضَتْ به إلى مَا هُوَ أقسى مِنَ الموت ؛ أَعْنِي : تَمَنِّي الموت ؛ فقد ذَاقَ مِنْ صُنُوفِ الآلام والإحباط ما جَعَلَ اليأسَ عميقًا في نفسه .

وغيرُ خافٍ أَنَّ ذُرْوَة الرغبة في الموت قد تنطوي على التعلُّق الشديد بالحياة ، وتوقُّد الإحساس المُرْهَف بها .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمة ، وتناول التمهيد أطيب اللَّذَّات في الشعر الأندلسيّ ، وعَرَضَ المَبْحَث الأَوَّل تَمَنِّي المَوت فِي الشِّعْر المَشْرِقِيّ ، ورَصَدَ المبحث الثاني أسباب تَمَنِّي الموت في الشعر الأندلسيّ .

وأسباب تَمَنِّي الموت – عند شعراء الأندلس – كثيرة ، منها : (فساد الزمان ، سُقُوط المدن ، الإخفاق في تحقيق الأمانيّ ، الذل ، السجن ، الغربة ، الفقر ، المرض ، العَمَى ، الشيب ، فراق المحبوب ، وفاة الابن ، رحيل الأصدقاء) .

وقد اتبعتُ المنهج الوصفيّ التحليليّ ؛ لتوضيح ما في النصوص من قِيَم جماليَّة .

مُقَدِّمَة

يَنْزِعُ الإنسانُ – بِطَبْعِهِ – إلى حُبِّ الحياة ، ويَحْرِصُ عليها ؛ فكُلُّنَا مُغْرَمٌ بها ، وكم يكون شاقًّا على الإنسان أن تضيقَ به سُبُل الحياة جميعًا ؛ فلا يَمْلِكُ إلا أَنْ يَرْفَعَ صَوتَهُ قائلاً : الموتُ أهونُ من الحياة ، مُتَمَنِّيًا الموت ؛ لأنَّه لم يَعُدْ يَرَى في الحياة شيئًا يستحق أنْ يعيشَ من أجله .

وقد تَأَرْجَحَ شُعَرَاء الأندلس بين حُبِّ الحَيَاة وَتَمَنِّي المَوت ؛ فمنهم مَنْ استغرق في اللذَّة ، ودَعَا إلى التمتُّع بالحياة ، وسائر ضروب النعيم – بكُلِّ السُّبُلِ – حتَّى استيفائها ، وتَشَبَّثَ بالحياة حتى آخر رمق .

وعلى الجانب الآخر نَجِدُ آخرين يتعجلون الموت ، ويتطلعون إليه في شوقٍ ، راغبين عن الحياة ، رافضين كُلَّ ما فيها مِنْ مُتْعَة ؛ فما عادت الحياةُ – من وجهة نظرهم – ذاتَ معنى يُثِير اهتمامهم ، لقد أصبح الموتُ يُمَثِّلُ حالةً مشتهاة في لحظاتٍ تشتدّ فيها الأزمة النفسيَّة بين ما يريده المرء من جهة ، والواقع الفعليّ من جهةٍ أخرى .

وعندما يتعرض المرءُ للظُّلم والقَهْر والذُلّ ، ويكون من أصحاب النفس الأبيَّة ؛ فإنه عندئذٍ يُفَضِّلُ الموت على الحياة ، وإذا سَخِطَ الإنسانُ على الدنيا ، اسْتَعْجَلَ الموتَ ؛ لأنه يرى في ظلام القبر أُنْسًا وراحةً ومَغْنَمًا .

وتَمَنِّي الموت يَحْمِلُ معنى الاحتجاج على العصر والناس في دلالته المباشرة الأُوَلى ، ويحمل معاني مُلازِمَة في دلالاته المُصَاحِبة ، وأُولى هذه الدلالات تُومِئ إلى تَصَاعُد اليأس ، ووصوله إلى ذروته ، وجَزَع المَرْءُ مِمَّا أصابه ، وثانيها : الانسحاب من الواقع ، والفِرَار من مُوَاجَهَة ما فيه ، وثالثها : الرغبة في الراحة مِمَّا به من ضُرّ ، وعندما يُصْبِحُ الإنسانُ غيرَ مُكْتَرِثٍ للقيام بأيِّ نشاط ، وتتملكه مشاعر بِأَنَّ الحياة لا قيمة لها ، ويفقد إحساسه بقيمة ما يفعله – فيرى نفسَه غيرَ نافعٍ للآخرين ولنفسه ، ليس لديه أملٌ في شيء ، ولا ثقة بالمستقبل – عندئذٍ لا يَجِدُ طريقًا يسلكه إلا تَمَنِّي الموت ، الذي يَعْنِي قَبُول الهزيمة والاستسلام .

ويَحْدُثُ الإحباط عندما يفشل الفرد في إيجاد معنى أو هدف يُعْطِي لحياته هُوِيَّة متفردة ؛ مما يجعل حياته بلا معنى واضح ؛ فلا يشعر بالحماس لإنجاز عملٍ ما ، ولا تبدو له رسالة واضحة يجب عليه تأديتها ، وإنما ينتقل من يومٍ إلى آخر في سأمٍ شديد .

وعلى الإجمال فَإِنَّ من يرفض الحياة ، ويرى أنها لا ضرورةَ لها ، ويفقد الإحساس بوجود أي معنى لها ، ويتَمَنَّى الموت ؛ فإنه – في حقيقة الأمر – رافضٌ للظُّلْم ، والقَهْر ، والفقر ، والحرمان ، والمرض ، والفوضى ، والتخلُّف ، والتشوُّه.

وقد يَصِلُ الأمرُ إلى الإقدام على الانتحار ، والرغبة في تدمير الذات ، ويُؤَجِّج هذه الرغبة تصاعُد حِدَّة الإحساس بالوحدة ، وسُوء الظنّ بالحياة والأحياء ، وافتقاد الصداقة والصديق ، وتصوُّر الحياة على أنها غابة مُوحشة ، والنظر إلى البشر بوصفهم كائنات مفترسة لا تعرف سوى الغدر .

وغيرُ خافٍ أَنَّ ذُرْوَةَ الرغبة في الموت قد تنطوي على التعلُّق الشديد بالحياة ، وتوقُّد الإحساس المُرْهَف بها .

أهداف البحث :

عَرْض طريقة تفكير شعراء الأندلس ، وإظهار موقفهم من الحياة والموت ، ومن الدين والدنيا ، وهو موقفٌ يستند إلى قدرٍ كبير من الأهمية ؛ لِمَا له مِنْ أَثَرٍ في الإقبال على الحياة وبنائها ، أو العُزُوف عنها وإهمالها ، وتوجيه النظر صوب التفكير في الموت وانتظاره بشوق .

وهناك كثيرٌ مِن التَّأَمُّلات الفلسفيَّة والأفكار والمعاني يطالعنا بها شعراء الأندلس تجاه ظاهرة (تَمَنِّي الموت) ، تعكس ثقافتهم الشخصيَّة ، وتجاربهم الخاصَّة ، وتُجَسِّد أفكارهم ، وهي ظاهرة جديرة بالرصد والتفسير .

ولم تُخَصَّصْ دراسة مستقلة منفصلة – فيما أعلم – حول الأسباب التي دفعت الشاعر الأندلسيّ إلى تَمَنِّي الموت ، والكُتُب التي عَرَضَتْ هذه الظاهرة اكتفت بالإشارة إلى الموضوع في سطورٍ عارضة ، أو تحت عناوين فرعيَّة ، لا تُكَوِّن صورةً واضحة مُتَكَامِلَة عن تَمَنِّي المَوت عندهم ، وأساليب تفكيرهم في هذا الأمر ، وأثر ثقافة عصرهم وفساد بيئتهم في هذا الاتجاه .

وقد حَاوَلْتُ استجلاء أسباب هذه الظاهرة ، أو بعبارة أخرى دواعيها وبواعثها ، عن طريق رَصْد رؤية الشاعر الأندلسيّ لنفسه في مرآتِهِ الخاصَّة ومرايا الآخرين معًا ، وموقفه من الحياة ، وقضايا المُجْتَمَع .

مَنْهَج البَحْث :

اتبعتُ المنهج الوصفيّ التحليليّ ؛ لأنه الأنسب لرصد ظاهرة تَمَنِّي الموت في الشعر الأندلسيّ وتفسيرها ، وتوضيح ما فيها من قيم جماليَّة .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ ومبحثينِ وخاتمة ، وتناول التمهيد أطيب اللذات في الشعر الأندلسي ، وعَرَضَ المبحث الأول تَمَنِّي المَوت فِي الشِّعْر المَشْرِقِيّ ، ورَصَدَ المبحث الثاني أسباب تَمَنِّي الموت في الشعر الأندلسيّ .

تمهيد : أَطْيَبُ اللَّذَّاتِ فِي الشِّعْر الأَنْدَلُسِيّ :

إنَّ النُّفُوسَ تَطْلُبُ اللَّذَّة ، وتسعى إليها ، وتبحث عن النَّشْوَة القُصْوَى التي لا مزيد بعدها ، وقد نَقَلَ أبو حَيَّان التوحيديّ (ت414هـ) عن أفلاطون (427– 347 ق م) (Platon) قوله : « إنَّ للنفس لذَّتينِ : لذَّة لها مجرَّدة عن الجَسَد ، ولذَّة مشاركة للجَسَد ؛ فأما التي تنفرد بها النفس فهي العلم والحكمة ، وأما التي تُشَارِك فيها البَدَن فالطعام والشراب وغير ذلك » [1] .

ويرى الأندلسيّ لَذَّتَهُ في مجالس الأُنس والطرب ، وغير ذلك من دَوَاعِي السُّرُور ، التي تَرْمِي إلى إشباع شَهَوَات النفس ، وقد عاش شعراء الأندلس حياة العَبَث والمُجُون ، والتهالُك على اللَّذَّة ، والاستمتاع بها ، وهم يميلون – كُلَّ المَيلِ – إلى حياة التَّرَف واللهو ، والتمتُّع بمَلَذَّات الحياة ؛ ولهذا فليس غريبًا أن يَعُبُّوا مِنْ مَلَذَّات الحياة ما وجدوا إلى ذلك طريقًا ؛ ومن أجل ذلك حَرَصُوا على أن يعيشوا ساعة اللهو المتاحة أمامهم ؛ لأنَّ مَنْ أضاع الفُرْصَة تَجَرَّعَ الغُصَّة .

وإذا تحدثنا عن فَلْسَفَةِ اللَّذَّة فنستطيع أَنْ نَقُولَ : إنَّ « قِوَام هذا المذهب أَنَّ الإنسانَ مفطورٌ على طَلَبِ اللَّذَّة ، وأَنَّ له مِنْ عُمْرِهِ اليوم الذي هو فيه ، فالحكمة تَقْتَضِي أن يُرَوِّي نفسه منها قبل أَنْ يَحُولَ دونها شبح الموت » [2].

وكان شعراء الأندلس حريصون – أشدّ الحرص – على استيفاء المُتْعَة ؛ فهم طالبي لَذَّة لا صبر لهم عنها ، ولا هَمَّ لهم إلا مبادرتها ، ولا نُجْحَ يعرفونه إلا في إصابتها .

والأندلسيّ – بطبعه – صافي النفس ، هادئ البال ، صاحب نفس مَرِحة ، طُبِعَتْ على الدُّعَابة ، يهتم بمُتَع الحياة ومَسَرَّاتها ، وينطلق وراء شهواته ؛ فتبدو الذات مشغولة بنفسها لا تكاد تلتفت عنها حتى تعود إليها ، وهي تَتُوق إلى اللَّذَّات ؛ حتى إذا نالتها ثَارَتْ تَطْلُبُ المزيد ؛ لأنَّ النفسُ تَأْنَسُ بما يُرِيحُها .

ويَبْغِي طَالِبُ اللَّذَّةِ المُتْعَةَ التي تَبْلُغُ بِصَاحِبهَا الغاية المنشودة ، ويُنْفِقُ أَيَّامَهُ في اللَّذَّة ، لا يُبَالِي بغير ساعته ، ولا ينظر إلى ما وراء لَذَّته ، يستخفّ بالأمور ، ولا يأخذُ الحياةَ مأخذَ الجِدِّ ، ولا يدع فُرْصَة من اللهو تَفُوته ، ويتأجَّج صدرُهُ بحب اللهو ؛ حتى لا شيء عنده إلا اغتنام كُلّ فُرْصَة مُتَاحَة ؛ (فَأَلَذُّ العَيشِ صَفْوٌ يُغْتَنَمْ) [3] ، و(مَا لِـيَالِي الأُنْسِ إِلاَّ قِصَار) [4] ؛ فهو يريد أَنْ يستمتع بالحياة أقصى درجات الاستمتاع ، وفي ذلك ما يَمْنَحُ الذاتَ الإحساس بالرضا ، والوفاق مع الوجود ، والأُنْس بالحياة ، وتَخْلُقُ « السعادة ضربًا من الانسجام بين الذات والعالَم الخارجيّ » [5] .

ويعكس الشعر الأندلسيّ خصائص ومفردات البيئة والعصر ، وما وُجِدَ فيه من عَبَث ومُجُون إنما هو صورةٌ حَيَّةٌ للعصر والمجتمع ، واستجابة صادقة لذوق أهل

زمانه ، وهو – بهذا المعنى – نتاج التَّرَف الحضاريّ ؛ فقد جُبِلَ أبناء الأندلس على حُبّ الغناء والموسيقى ، وألوان المُتْعَة ، وصُنُوف اللهو ، ومجالس الأُنْس والمُجُون ، وأصبحت الفُكَاهة من مُتُع الحياة الاجتماعيَّة ؛ فهي وسيلة يُنَفِّسُ بها الإنسان عن نفسه ما يَحْمِلُ من هُمُوم ، ويستردّ نشاطه وتوازنه النفسيّ ، ولشعراء الأندلس نوادر طريفة ، تَدُلُّ على خِفَّة روحهم ، « والظَّرْفُ فيهم والأدب كالغريزة ؛ حَتَّى في صبيانهم ويهودهم ، فضلاً عن علمائهم وأكابرهم » [6] .

لِذَا دَعَوا إلى اغتنام فُرَص الحياة قبل فَوَاتِ الأوان ؛ لأنَّ (العَيشُ اخْتِلاسُ)[7] ، و(البَقَاءُ قَلِيلُ) [8] ، و(العُمْرَ أَنْفَاسُ) [9] ، وذلك لإحساسهم بقِصَر الحياة وسرعة انقضائها [10] ؛ وكان هذا الإحساس يُشَكِّلُ هاجسًا مخيفًا لديهم ؛ مما دفعهم إلى الإسراع في اقتناص اللَّذَّات وفُرَص اللهو في ريعان الشباب ؛ لأنَّ الحياة – من وجهة نظرهم – لا تجود بالمَلَذَّات إلا في عهد الصِّبَا ، يقول ابن حَمْدِيس الصّقَلِيّ (ت527هـ) : الرمل)

خَلِّنِي أُفْنِ شَبَابِي مَرَحًا لا يُرَدُّ المُهْرُ عَن طَبْعِ المِرَاحْ
إِنَّمَا يَنْعَمُ فِي الدُّنْيَا فَتًى يَدْفَعُ الجِدَّ إِلَيهَا فِي المُزَاحْ [11]

ويُحِبُّ الأندلسيُّ الحياةَ ، ويَسْعَى للتمتُّع بكل سُبُل النعيم المُتَاحة ؛ لإدخال السرور على نفسه (وَكَيفَ يَطِيبُ العَيشُ دُونَ مَسَرَّةٍ ؟) [12] ؛ ولكي يتم اغتنام ساعات الأنس ، وتكتمل السعادة ، لا بُدّ من نسيان الهموم ؛ بغية راحة النفس ؛ لأنَّ مَنْ يُصَاحِب الهُمُوم ، لا يكسب شيئًا [13] ؛ فلا بُدَّ أن يغتنمَ المرءُ صفوَ الحياة قبل وفاته [14] ؛ فإن السَّعْيَ ينبغي ألا يكون إلا لتحقيق اللَّذَّة والسعادة .

وتَبَدَّتْ أطيبُ اللَّذَّاتِ لدى هِشَام بن عبد الرحمن الدَّاخِل (ت180هـ) في مغازلة رَيحان ؛ حتى إنه قَصَرَ لذة العيشِ على أَنْ يُضَاحِكَهُ ، وشَبَّهَ ضحكته بالصُّبْحِ الذي يُنِيرُ الليلَ البَهِيمَ [15] .

ورأى ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ (ت328هـ) أنَّ أطيبَ اللَّذَّات الجمع بين المتآلفينِ [16] ، وصَرَّحَ بأنه يَهِيمُ فِي حُبِّ ظَبيٍ ذِي احورار [17] ، ودَعَا أبو جعفر بن عائش إلى الاستمتاع بشرب الخمر في ظِلِّ الطبيعة الغَنَّاء ؛ فَإِنَّ هذه هي اللذة التي لا تُعَوَّض ، يقول في يوم صحو بعد مطر : (السريع)

إِذَا رَأَيتَ الجَوَّ يَصْحُو فَلا تَصْحُ ، سَقَاكَ اللهُ ، مِنْ سُكْرِ
تَعَالَ فَانْظُرْ لِدُمُوعِ النَّدَى مَا فَعَلَتْ فِي مَبْسِمِ الزَّهْرِ
وَلا تَقُلْ إِنَّكَ فِي شَاغِلٍ فَلَيسَ هَذَا آخِرَ الدَّهْرِ
يُخْلَفُ مَا فَاتَ سِوَى سَاعَةٍ تَقْنُصُ فِيهَا لَذَّةَ الخَمْرِ [18]

ويطلب حاتم بن سعيد أن تقترن الخمر بالوجه المليح ؛ فإنَّ طِيبَ العَيشِ لا يَتِمُّ إلا بمجانبة الثقلاء ، يقول : (الخفيف)

وَإِذَا مَا أَرَدْتُمُ طِيبَ عَيشِي فَاحْجُبُونِي عَنْ كُلِّ وَجْهٍ ثَقِيلِ [19]

ولا يكمل مجلس الشراب إلا بسماع الموسيقى والغِنَاء ؛ لأنَّ « الشراب بلا غِنَاء لا بهجة فيه ولا مَسَرَّة » [20] ، وارتبط الرقص « بفنّ الغِنَاء والموسيقى ، وامتزج بهما في كثيرٍ من الحالات حتى غَدَا مِنَ العسير أن نتعرف على جماعة بعينها تحترف الرقص بعيدة عن مصاحبة الغِنَاء والموسيقى ، بل إن الراقصة أو الراقص كان مُغَنِّيًا في الغالب ، وكانت المغنية تزداد قيمة بقدر براعتها في كثيرٍ من الفنون ومنها فنّ الرقص . والرقص الجميل مثل الغِنَاء والموسيقى الجميلة كان يستكمل به الأندلسيُّ مُتْعَتَه في مجالس الأُنْس والسَّمَر » [21] .

وصَرَّحَ أحمد بن رضي المالقيّ أنه لا يستريح للخمر ، وسَمَاع الأنغام ، وإنما لَذَّتُهُ في مطالعة الكُتُب ، وتقييد غرائبها بقلمه ، يقول : (البسيط)

لَيسَ المُدَامَةُ مِمَّا أَسْتَرِيحُ لَهُ وَلا مُجَاوَبَةُ الأَوتَارِ وَالنَّغَمِ

وَإِنَّمَا لَذَّتِي كُتْبٌ أُطَالِعُهَا وَخَادِمِي أَبَدًا فِي نُصْرَتِي قَلَمِي [22]

ويقول ابن جُزَيّ الكَلْبِيّ محمد بن أحمد (ت741هـ) إنَّ لَذَّتَهُ في طلب علم الشريعة ؛ ليكون طريقًا مُوَصِّلاً إلا النعيم المُؤَبَّد في الجِنَان : (الطويل)

فَمَا الفَوزُ إِلاَّ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ بِهِ العَيشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاغُ [23]

والحقيقة أنَّ « اللذَّة والألم حالتانِ مرتبطتانِ ، ولا سبيل إلى الفصل بينهما على الإطلاق ، مثلهما كمثل كِفَّتي الميزان كُلّ حركة في إحدى الكِفَّتينِ من شأنها أن تستتبع بالضرورة تحرُّك الكِفَّة الأخرى . وعلى ذلك فإننا إذا أردنا أَنْ نُفَصِّلَ هاتينِ الحالتينِ إحداهما عن الأخرى ؛ لكي نُبْقِي على واحدة منهما فقط ؛ فهنالك لا بُدَّ من أن ننتهي إلى القضاء على كليهما معًا . ولعلَّ هذا هو السبب في أنَّ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ اللذَّة المستمرة فإنه لا بُدّ من أن يصل في خاتمة المطاف إلى حالة من (الاستواء) أو (عدم الاكتراث) »[24] .

ولم يُقَصِّرْ شعراءُ الأندلسِ في سعيهم لاستيفاء ضروب اللذة ، التي تَمَثَّلَتْ في : مُضَاجَعة النساء ، ومجالس الخمر ، والغزل بالمُذَكَّر ، والتمتُّع بجمال الطبيعة ، وسماع الغناء المُطْرِب من وَجْه مليح ، وقراءة الكُتُب ، ومنهم مَنْ رَغِبَ فيما عند الله من حُسْنِ الثواب للمتقينَ ؛ فأعرض عن الدنيا ، وجعل لَذَّتَهُ في طاعة الله والتماس مرضاته .

وتَجْمَع الشخصيَّة الأندلسيَّة في صميم تكوينها بين المتناقضات : (الرَّقَّة والعنف ، الزهد والمُجُون ، حُبّ الحياة وتَمَنِّي الموت) .

تَمَنِّي المَوت :

يُعَدُّ الموتُ أخطر ظاهرة في الحياة وَقَفَ البشر أمامها مذهولينَ ؛ محاولين معرفة حقيقتها وكُنْهها ؛ فهو يُنَبِّههم إلى مصيرهم المنتظر ؛ فقد خُلِقُوا من التراب ،

وإليه يعودون ؛ لذا لجأ الإنسان إلى الدِّين لِيُطَمْئِن روحه الحائرة أمام ذلك اللُّغْز الرَّهِيب .

ولقد « حاول الإنسان – فِي كُلِّ زمان ومكان – أنْ يَقْهَرَ الزمان ، ويصرع الشرّ ، ويسحق الموت ، ولكنه لم يلبث أن تحقق من أن صراعه اليائس ضد هذا الثالوث المارد الجبار ، إِنْ هُوَ إلا جُهْد ضائع لا بُدَّ من أن يبوء بالفَشَل والخَيبة والدَّمَار »[25].

وقد اهتمت علوم عديدة بدراسة الموت ، منها : الطب والتمريض ، والصحَّة العامة ، والعلوم الاجتماعيَّة والسلوكيَّة ، وعلى الأخصّ علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والقانون ، فضلاً عن الدين والفلسفة . ولقد نشأ في العقود الأخيرة علم دراسة الموت والاحتضار (Thanatology)[26]، وهو نوع من العلم والفنّ ، يهدف إلى تمكين الأفراد المحتضرينَ من أن يموتوا بطريقة طبيعيَّة ، بسهولة دون ألم ، وفي سلام ، وتَطَوَّرَ هذا العلم حتى أصبح مقررًا دراسيًّا في الجامعات ، كما نُشِرَتْ فيه مراجع كثيرة ، وأصبح الموت مجالاً جيِّدًا للدراسة والبحث [27] .

ومن الأساطير النموذجيَّة التي تُوَضِّح أصل الموت أسطورة نَامَا بين الهوتنتوت (Nama Hottentots) [28] ، التي جاء فيها أَنَّ القَمَرَ أرسل القملة يومًا لِتَعِدَّ الإنسان بالخلود ، كانت الرسالة تقول : (كما أموت وفي مماتي أحيا ، كذلك أنت ستموت وفي مماتك تحيا) ، وصادف الأرنب البريّ القملة في طريقها ، ووَعَدَ بنقل الرسالة ، غير أنه نَسِيَهَا ، وأَبْلَغَ البديلَ الخاطئ لها : (كما أني أموت وفي مماتي أفنى) ؛ فضَرَبَ القَمَر غاضبًا الأرنب البريّ على شفته التي ظَلَّتْ مشقوقة منذ ذلك الحين [29] .

ويُعَدّ جُوتَه (Goethe) خيرَ مَنْ مَثَّلَ الرؤية البيولوجيَّة للموت حينما وصفها بأنها « حيلة الطبيعة لضمان المزيد مِنْ وَفْرَةِ الحياة » [30] ، فإنَّ الموتَ – في نهاية الأمر – « ظاهرة مُعَانِقَة للحياة » [31] .

ويعكس موقف سينكا (Seneca) من الموت تكافؤ الأضداد ؛ فإلى جوار الخوف من الموت ، يبدو أنه قد وَجَدَ شَهْوَةَ المَوتِ (Libido moriendi) ، ورؤيته الخاصَّة بشغف الروح بالعودة من حيث جاءت قد لا تكون مجرد نتيجة لالتزامه بالمبدأ الأفلاطونيّ فحسب ، وإنما هي كذلك ترشيد لحنينه للموت [32] .

وغيرُ خافٍ أنَّ الموقفَ من الموت : مرهوبًا أو مرغوبًا « أمرٌ ثانويّ يتعلق بتاريخ حياة فرد بعينه لا بالحياة ذاتها » [33] ، وما ذاك إلا لأنَّ الموتَ « جزءٌ من منظومة الحياة ذاتها ، يمكن أن يُسْلَكَ في خيطٍ مُمْتَد مع بقية ظواهرها ؛ فيتضاءل شبحه الميتافيزيقيّ المُرَوِّع ، ويُصْبَح حَصَادَهُ جزءًا من أديم الأرض ، مُقَوِّمًا لبقية

أجزاء الحياة الأخرى » [34] ، ونحن لا نستطيع « أن نُقَدِّرَ الحياةَ حَقَّ قَدْرِهَا حَتَّى نُوَاجِهَ المَوت » [35] .

إِنَّ النَّفْسَ المُنْكَسِرَةَ ، تشعر بعبث [36] الحياة ، وعدم جدوى أي شيء ، لقد صدمتها الأيامُ بما لم تَكُنْ تتوقعه يومًا ، ويَحُزُّ في نفسها أن يَؤُولَ حالها إلى هذا المصير ، وقد استولى عليها يأسٌ مُطْبِق دفعها نحو التعلُّق بالموت ، والتشوُّق إلى الفناء ؛ لأنَّها تشعر بالضياع ، وترى أَنَّ كُلَّ شيءٍ بلا معنى ، وأَنَّ العالم يَمْلَؤُهُ الخَوَاء ؛ لذا تفرح بالموت ؛ وتَرَاهُ كأسًا شَهِيَّة ، لها طعمٌ طَيِّب ؛ فهو خيرٌ من الحياة في ظِلِّ عَيشٍ ذَلِيل ، لقد أبصرتْ – في سعيها الدائب لرصد الأشياء وفَهْم الحياة – حقيقة الواقع الجامع لشَتَّى مظاهر التناقُض ، ولم تستطع أن تتكيَّف معه ، وأخذت تسأل عن معنى الوجود ، وتُفَكِّرُ في شُئُون الحياة ، وتنظر إلى الدنيا بكل ما فيها من أضداد ؛ فعَزَفَتْ عنها .

وتراءت لها كثيرٌ من الأحداث ، التي يَتَكَالَب فيها الناس على الدنيا ويتصارعون ، عابثة مضحكة ، وتساوت عندها الأضداد ، طعم اللَّذَّة والألم ، وصارت ترى الحياة شرًّا لا خيرَ فيها ، إنها لا تخاف الموت ، بل تجد فيه راحة وسعادة ، وخلاصًا من الأشرار الذين لا يُؤْمَن بوائقهم ؛ لذا ففِرَاقَ الدُّنْيَا خيرٌ لها من البقاء فيها ، وقد وَرَدَ في المثل العربيّ (شَرٌّ مِنَ المَوتِ مَا يُتَمَنَّى مَعَهُ المَوتُ) [37] ، وهو يُضْرَب في الداهية الدهياء .

وغيرُ خَافٍ أن ظاهرة (تَمَنِّي المَوت) تأتي عرضًا في أثناء القصيدة ؛ في بيتٍ أو عِدَّة أبيات ؛ فنراها في قصائد الدعوة إلى الجهاد ، وقصائد الرثاء : رثاء النفس ، رثاء الابن ، رثاء الصديق ، رثاء المُدُن ، وفي القصائد الاستعطافيَّة التي يكتبها الشاعر في السجن أو الأسر ، وفي القصائد التي يصف فيها الشاعر اغترابه وبُعْده عن وطنه ، وفي قصائد الزهد ؛ حيث يتعجل المرءُ الموتَ ؛ طمعًا في عفو الله ورحمته ، وفي قصائد المتصوفة ؛ لأنَّ الموت هو الذي يُخَلِّص الروح من أسر الجسد ؛ لتصل إلى الفناء في المحبوب .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : تَمَنِّي المَوتِ فِي الشِّعْرِ المَشْرِقِيّ :

تَجْدُر الإشارة إلى أَنَّ الشعر الأندلسيَّ وثيق الصلة بالشعر المشرقيّ ، ولكنَّ الأندلسيين استطاعوا أن يتميزوا عن المشارقة ، ويثبوا أنَّ لهم شخصية مُتَفَرِّدَة ، فقد اكتسى شعرهم بالصبغة الأندلسيَّة وسماتها الخاصَّة ، دون أن ينفصلوا عن الشعر المشرقي أو تنقطع صلتهم به .

وقد وُجِدَتْ ظاهرة (تَمَنِّي المَوت) في الشعر المشرقيّ ؛ ففي العصر الجاهليّ يُصَرِّح عنترة بأنه يُفَضِّل الموت على حياة الذُّلّ ، يقول : (الوافر)

دَعُونِي فِي القِتَالِ أَمُتْ عَزِيزًا فَمَوتُ العِزِّ خَيرٌ مِنْ حَيَاةِ [38]

ويُقِرُّ عُرْوَة بن الوَرْد أَنَّ الموتَ خيرٌ من العَجْز والقُعُود عن المخاطرة ؛ لذا ينصح بني لُبْنَى بأن يُوَجِّهُوا جُهُودَهم للغزو ، يقول : (الطويل)

أَقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدُورَ رِكَابِكُمْ ؛ فَكُلُّ مَنَايَا النَّفْسِ خَيرٌ مِنَ الهَزْلِ [39]

ويُصَرِّحُ بأَنَّ المالَ ضروري لاستمرار الحياة ، وقضاء المصالح ، والتغلُّب على الحوادث ؛ لذا يُطَوِّفُ في البلاد سعيًا وراء الغِنَى ، وإلا فالموت أجمل ، يقول : (الطويل)

فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ ، تُلِمُّ بِهِ الأَيَّامُ ؛ فَالمَوتُ أَجْمَلُ [40]

ولا يرفض ماجِد بن مُخَارِق الغَنَوِيّ أن يُضَحِّي بنفسه ويُتْلِفها في مقابل بُلُوغ مأربه من تحقيق الغِنَى وكَسْب الثروة ، كي يَغْنَى ويُغْنِي أهله ؛ فالقبرُ أهونُ عليه من الفقر ، يقول : (الطويل)

سَأُتْلِفُ نَفْسِي أَو سَأَبْلُغُ هِمَّتِي فَأَغْنَى وَأُغْنِي مَنْ أَرَدْتُ بِمَالِيَا [41]

ويرى عَدِيُّ بن رَعْلاءَ الغَسَّانِيّ أَنَّ المَيِّتَ هُوَ من يعيش ذليلاً ، كاسف البال ، قليل الرجاء ، يتذلَّل لغيره من أجل قضاء حوائجه ، ويَتَوَسَّل للآخرين كي يقوموا بشئونه ؛ فالموت خيرٌ من العَجْز والذُّلّ ، يقول : (الخفيف)

لَيسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيتٍ إِنَّمَا المَيتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

إِنَّمَا المَيتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلاً سَيِّئًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ [42]

ويذهب أبو خِرَاش إلى أنه يَصْبِر صبرًا شديدًا على الجوع ، ويمتنع عن شرب الماء الصافي ؛ ويُؤْثِرُ غيره على نفسه بطعامه وشرابه ؛ مخافةَ الهَوَانَ والمذلة ؛ فالمَوتُ خيرٌ منهما ، يقول : (الطويل)

وَإِنِّي لأُثْوِي الجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي فَيَذْهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلا جِرْمِي

وَأُغْتَبِقُ المَاءَ القَرَاحَ فَأَنْتَهِي إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلمُزَلَّجِ ذَا طَعْمِ

مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذِلَّةٍ وَلَلمَوتُ خَيرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمِ [43]

كان تَمَنِّي الموت في الشعر الجاهليّ ؛ نتيجة لإحساس الشاعر بأَنَّ الموتَ خَيرٌ من حياة الذُّلّ والمهانة ، ومن الفقر والاستجداء ؛ فَإِنَّ الحُرُّ الأبيّ لا يَرْضَى

بِالذُّلِّ ، ويُفَضِّلُ عَلَيهِ لِقَاءَ المَوتِ ؛ فهو أَهْوَنُ عليه من أن يضطره الزمان إلى سُؤَالِ اللئيم ، الذي يَسْخَرُ منه ، ثُمَّ لا يُلَبِّي طَلَبَهُ ؛ فَإِنَّ الذُلَّ يُعَادِلُ المَوتَ في قسوته ، بل قد يكون أشدَّ منه قسوة .

وفي عَصْرِ المُخَضْرَمِينَ ، نرى حَسَّان بن ثَابِت (ت54هـ) يؤكد حِرْص المجاهدينَ المسلمين على الموت والاستشهاد في سبيل الله ؛ فقد عَرَّضُوا أجسادهم للسِّهَام والرِّمَاح في حَومَة القِتَال ؛ طلبا للشهادة ، يقول في قواد معركة مؤتة : (الطويل)

وَزَيدٌ وَعَبْدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعًا ، وَأَسْبَابُ المَنِيَّةُ تَخْطِرُ
غَدَاةَ غَدَوا بِالمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ إِلَى المَوتِ مَيمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيرَ مُوَسَّدٍ بِمُعْتَرَكٍ ، فِيهِ قَنًا مُتَكَسِّرُ
فَصَارَ مَعَ المُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ جِنَانٌ ، وَمُلْتَفُّ الحَدَائِقِ أَخْضَرُ [44]

يرثي زيدَ بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، الذين استشهدوا في غزوة مؤتة ؛ ونالوا الثوابَ الجزيلَ الذي أعده اللهُ للشهداء ، ويُحَمِّسُ غيرهم من قُوَّاد المسلمين لبذل مزيدٍ من الجهد لنيل الشهادة ؛ ونُصْرَة الإسلام .

وقد وصل الأمر بالخَنْسَاء (ت24هـ) إلى أن تُفَكِّرَ في قَتْلِ نَفْسِها من أجل وفاة أخيها صخر ، ومنعها من ذلك كثرة الباكينَ حولها على إخوانهم ، تقول : (الوافر)

فَلَولا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَولِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي [45]

وصَرَّحَ قيس بن الخطيم بأنه لا يرغب في بقاء نفسه ، ويتمنى الموت ، ويُفَضِّلُهُ على الهزيمة ، يقول حين أخذ ثأره من قاتلي أبيه وجدّه : (الطويل)

وَإِنِّي فِي الحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا [46]

من أسباب تَمَنِّي الموت في شعر المُخَضْرَمِينَ : الجهاد في سبيل الله ، والحزن الشديد لوفاة الأخ ، والرغبة المُلِحَّة في تحقيق النصر والأخذ بالثأر .

وفي العصر الأُمَوِيّ نَشِطَ الشعر السياسيّ ، وظهرت فرقة الخوارج التي تَمَنَّت الموت والشهادة ، وانصرفت عن الدنيا إلى الآخرة ، وهي حزبٌ ثوريٌّ صريح ، يعتصم بالتقوى ، نشأ عن عصبية الإسلام [47] ، إنهم يبيعونَ حياتهم ، ويطلبونَ الجَنَّةَ ثمنًا لها ، ومن هنا تَلَقَّبُوا بلقب (الشُّرَاة) [48] ، رجاءَ الفوز بـ(الغَايَة القُصْوَى الرَّغِيب ثَوَابهَا) [49] ؛ فَهُمْ يَبْغُونَ (الجِنَان العَوَالِيَا) [50] ، وفي حِدَّة الثورة على الوضع السيئ « يَكْمُنُ الأَمَلُ في التخلُّص من هذه الحياة عند الخوارج ، أي أنَّ الموتَ عندهم هو الدين الحقيقيّ ؛ ولذلك كان الشاعرُ الخارجيُّ في صراعٍ كبير مع الزمن ، وسبيله للانتصار عليه هو الموت » [51] .

لقد أَفْضَتْ قضية الخلافة إلى قيام وجهات نظر سياسيَّة مختلفة ، وما لَبِثَتْ وجهات النظر أن تحولت إلى ما يُشْبِه الأحزاب السياسيَّة ، كُلٌّ يحاول تأكيد موقفه بالحجج العقليَّة والمعاني الدينيَّة التي تُثْبِتُ أحقيته بالخلافة دون سواه ؛ فكان الشيعة يتكئون على قرابة عليّ (τ) من الرسول (ρ) ، ثُمَّ صُحْبَته الحميمة له . أمَّا الخوارجُ فنادوا بردِّ الأمر إلى جماعة المسلمينَ تختار له الأكفأ ، اعتمادًا على النصوص الدينيَّة الصريحة في التسوية بين المسلمين [52].

وقد تحدَّى البهلول بن البشير الشيبانيّ السلطة السياسيَّة الأمويَّة وتمرَّدَ عليها في ولاية خالد بن عبد الله القسريّ [53] ، وكان لا يأبه بالموت ، يقول : (البسيط)

مَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ فَالمَوتُ أَشْهَى إِلَى قَلْبِي مِنَ العَسَلِ
فَلا التَّقَدُّمُ فِي الهَيجَاءِ يُعْجِلُنِي وَلا الحِذَارُ يُنَجِّينِي مِنَ الأَجَلِ [54]

إنه لا يَخَافُ المَوتَ ؛ فَهْوَ أَشْهَى إلى قلبه من العسل ، فَإِنَّ الأَجَل لا يُعَجِّلُهُ الإقدام في المعركة ، ولا يُؤَخِّرُهُ الحَذَر مِنَ المَوت .

ومن أجل التهافُت على الموت نجد الحويرث الراسبيّ يُعْلِن سَأَمَهُ مِنَ الحَيَاة ، ومِن العَيشِ الدَّنِيء ؛ رغبةً في الموت واللحاق بالإخوان ، يقول في رثاء صالح بن مسرح التميميّ (ت76هـ) : (الطويل)

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الخَلاءِ أَلُومُهَا هُبِلْتِ دَعِينِي قَدْ مَلَلْتُ مِنَ العُمْرِ
وَمِنْ عِيشَةٍ لا خَيرَ فِيهَا دَنِيئَةٍ مُذَمَّمَةٍ عِنْدَ الكِرَامِ ذَوِي الصَّبْرِ
سَأَرْكَبُ حَوبَاءَ الأُمُورِ لَعَلَّنِي أُلاقِي الذِي لاقَى المُحَرَّقُ فِي القَصْرِ [55]

وصَوَّرَ قَطَرِيّ بن الفُجَاءَة المَازِنِيّ (ت78 أو 79هـ) الخوارجَ بأنهم باعوا نفوسهم في سبيل الله ، وابتغاء ما أَعَدَّ لهم من ثوابٍ عظيم ونعيمٍ مُقِيم ، يقول : (الطويل)

فَلَو شَهِدْتَنَا يَومَ ذَاكَ وَخَيلَنَا تُبِيحُ مِنَ الكُفَّارِ كُلَّ حَرِيمِ
رَأَيتَ فِتْيَةً بَاعُوا الإِلَهَ نُفُوسَهُمْ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمِ [56]

ويقول : (الوافر)

وَمَا لِلمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ [57]

إذا كبرت سِنُّ المَرْءِ ، وضَعُفَ جِسْمُهُ ، وعَجَزَ عن قَضَاءِ حَوَائِجِهِ بنفسه ، وصار عبئًا مستثقلاً على ذَويه ؛ فإنه عندئذٍ يتمنى الموت ، ويُفَضِّلُهُ على بُلُوغِ المَرْءِ أقصى الكِبَر .

ويقول مُعَبِّرًا عن شوقه للموت في ساحة الجهاد : (الطويل)

إِلَى كَمْ تُغَارِينِي السُّيُوفُ وَلا أَرَى مُغَارَاتِهَا تَدْعُو إِلَيَّ حِمَامِيَا [58]

وتَمَنَّى أبو بلال مرداس [59] الموتَ والشهادة بعد مَقْتَلِ عبد الله بن وَهْب الراسبيّ وغيره من شهداء الخوارج ، يقول : (الطويل)

أَبَعْدَ ابْنِ وَهْبٍ ذِي النَّزَاهَةِ وَالتُّقَى وَمَنْ خَاضَ فِي تِلْكَ الحُرُوبِ المَهَالِكَا
أُحِبُّ بَقَاءً ، أَو أُرَجِّي سَلامَةً وَقَدْ قَتَلُوا زَيدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكَا [60]

ويقول : (البسيط)

تَقْوَى الإِلَهِ وَخَوْفُ النَّارِ أَخْرَجَنِي وَبَيعُ نَفْسِي بِمَا لَيسَتْ لَهُ ثَمَنَا [61]

وقد ازداد عِمْرَان بن حطَّان السدوسيّ (ت84 هـ) مَقْتًا للحياة وبغضًا ، ورغبةً في الموت بعد مقتل أبي بلال مرداس ، يقول : (الوافر)

لَقَدْ زَادَ الحَيَاةَ إِلَيَّ بُغْضًا وَحُبًّا لِلخُرُوجِ أَبُو بِلالِ
أُحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِى وَأَرْجُو المَوتَ تَحْتَ ذُرَى العَوَالِي
وَلَو أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّ حَتْفِي كَحَتْفِ أَبِي بِلالٍ لَمْ أُبَالِ
فَمَنْ يَكُ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَإِنِّي لَهَا وَاللهِ رَبِّ البَيتِ قَالِي [62]

إنه يخشى الموتَ على سَرِيره ، ويرجو أنْ يوافيه أجلُهُ في ساحة المعركة تحت صليل السيوف ؛ لأنه لا يبغي سوى رحمة الله وغفرانه ؛ إنه يُضَحِّي بنفسه في سبيل العقيدة ، وما ذاك إلا لعظم فضل الشِّهَادة .

وأراد كَعْب بن عميرة أن يخرجَ يوم النهروان فحبسه أخوه ؛ فقال يرثي من قُتِلَ من أصحابه ، ويتمنى مثلَ مصيرهم : (الطويل)

لَقَدْ فَازَ إِخْوَانِي فَنَالُوا التِي بِهَا نَجَوا مِنْ عَذَابٍ دَائِمٍ لا يُفَتَّرُ
وَيَا رَبِّ هَبْ لِي ضَرْبَةً بِمُهَنَّدٍ حُسَامٍ إِذَا لاقَى الضَّرِيبَةَ يَهْبُرُ [63]

وقال أيضًا : (الطويل)

هَذَا عَتَادِي فِي الحُرُوبِ وَإِنَّنِي لآمُلُ أَنْ أَلْقَى المَنِيَّةَ صَابِرَا [64]

وقد سَئِمَ زياد الأعسم طول العيش في الدنيا ، وتَمَنَّى الموت ، يقول في رثاء داود بن النعمان العبدي (ت86هـ) : (الطويل)

أُقِيمُ عَلَى الدُّنْيَا كَأَنِّيَ لا أَرَى زَوَالاً لَهَا ، وَأَحْسَبُ العَيشَ بَاقِيَا [65]

ويقول الطِّرِمَّاح بن حَكِيم الطائيّ (ت نحو 125هـ) في وصف الخوارج : (المُنْسَرِح)

لِلَّهِ دَرُّ الشُّرَاةِ إِنَّهُمُ إِذَا الكَرَى مَالَ بِالطُّلَى أَرِقُوا
يُرَجِّعُونَ الحَنِينَ آوِنَةً وَإِنْ عَلا سَاعَةً بِهِمْ شَهِقُوا
خَوفًا تُبِيتُ القُلُوبُ وَاجِفَةً تَكَادُ عَنْهَا الصُّدُورُ تَنْفَلِقُ
كَيفَ أُرَجِّي الحَيَاةَ بَعْدَهُمُ وَقَدْ مَضَى مُؤْنِسِيَّ فَانْطَلَقُوا
قَومٌ شِحَاحٌ عَلَى اعْتِقَادِهُمُ بِالفَوزِ مِمَّا يُخَافُ قَدْ وَثِقُوا [66]

إنَّ الخوارج تعتزّ بجماعتها ، وتحرص على معتقدها ، وتُؤثِر الجِهَادَ على الراحة ؛ لأنها ترى فيه النجاة من عذاب النار ، وهُمْ يُؤَمِّلُونَ ما أعد الله للمتقينَ من ثواب ، يقول : (الطويل)

عَصَائِبُ مِنْ شَتَّى يُؤَلِّفُ بَينَهُمْ هُدَى اللهِ نَزَّالُونَ عِنْدَ المَوَاقِفِ
فَوَارِسُ مِنْ شَيبَانَ أَلَّفَ بَينَهُمْ تُقَى اللهِ نَزَّالُونَ عِنْدَ التَّزَاحُفِ
إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمُ فَارَقُوا الأَذَى وَصَارُوا إِلَى مَوعُودِ مَا فِي المَصَاحِفِ [67]

إنه يصف الخوارج بالتقوى ، والاجتماع على هُدَى الله في الدنيا ، ثُمَّ إذا فارقوا الحياة وأذاها ، فازوا بوعد الله (I) للأبرار بالجَنَّة .

وقد تَمَنَّى شعراءُ الخوارج في العصر الأُمَوِيّ الموتَ في ساحة المعركة ؛ بغيةَ نيلِ الشهادة ، والثواب العظيم عليها ؛ فقد (طَابَتْ نُفُوسُهُمُ بِالمَوتِ) [68] ، بِوَصْفِهِ طريقًا مُوَصِّلاً إلى الجَنَّة ، ولقاء الأحباب الأتقياء الذين تقدَّمُوا على الطريق [69] .

وفي العصر العباسيّ ، يُطَالِعُنَا قَول أَبِي العَتَاهِيَة (ت211هـ) عندما حَبَسَه الخليفة المَهْدِي (ت169هـ) بسبب عُتْبَة : (الطويل)

ذَرِينِي أُعَلِّلْ نَفْسِيَ اليَومَ إِنَّهَا رَهِينَةُ رَمْسٍ فِي ثَرَى وَجَنَادِلِ [70]

لقد تَمَنَّى المَوتَ في سجنه الذي يُشْبِه القبر الضيق المُوحِش ؛ فَإِنَّ القبرَ أهونُ من العيش في السجن .

وقد رأى رجلٌ من أهل خُرَاسَان عَلِيّ بن الجَهْم (ت249هـ) – بعدما أُطْلِقَ من حبسه – جالسًا في المقابر ؛ فقال له : ويحك ما يُجْلِسُكَ هَاهُنَا ؟ فقال : (البسيط)

وَلَيسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيتُ أَذْكُرُهُ إِلاَّ المَقَابِرَ إِذْ صَارَتْ لَهُمْ وَطَنَا [71]

يقول إنه يَتَمَنَّى الموت ، وأن يَسْكُنَ في القبر ، بعد وفاة أهله وأصدقائه ؛ فَإِنَّ القبرَ هو وطنه ، بعد أَنْ صَارَ وَطَنًا للأحباب .

ويقول ابن الرُّومِيّ (ت283هـ) : (الكامل)

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا : لِلمَوتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لا تُعْرَفُ
فِيهِ أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لا يُنْصِفُ [72]

إنه يرى في الموت أَلْفَ فَضِيلَةٍ لا تُعْرَفُ – لو أنها عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيله أن يُعْشَقَا – فملاقاة الموتِ أمانٌ للإنسان من الخوف منه والجزع من لقائه والهَلَع عند ذكره ، وفوق ذلك فهو يُخَلِّصُ المَرْءَ من مُعَاشَرَةِ الثُّقَلاء .

وكان الحَلاج (ت309هـ) راغبًا في الموت ، ودعا الناسَ أن يقتلوه [73] ، يقول : (مجزوء الرَّمَل)

اقْتُلُونِي يَا ثِقَاتِي إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي
وَمَمَاتِي فِي حَيَاتِي وَحَيَاتِي فِي مَمَاتِي
أَنَا عِنْدِي مَحْوُ ذَاتِي مِنْ أَجَلِّ المَكْرُمَاتِ
وَبَقَائِي فِي صِفَاتِي مِنْ قَبِيحِ السَّيِّئَاتِ
سَئِمَتْ رُوحِي حَيَاتِي فِي الرُّسُومِ البَالِيَاتِ

فَاقْتُلُونِي وَاحْرُقُونِي بِعِظَامِي الفَانِيَاتِ
ثُمَّ مُرُّوا بِرُفَاتِي فِي القُبُورِ الدَّارِسَاتِ
تَجِدُوا سِرَّ حَبِيبِي فِي طَوَايَا البَاقِيَاتِ [74]

إنه يَتَمَنَّى الموت – كغيره من المتصوفة – ويسعى إليه ؛ بأن يطلب من الآخرين قتله (اقتلوني ، احرقوني) ؛ لأن هذا الموت هو الحياة الحقيقية التي تصله بالمحبوب .

وقد شَعَرَ المُتَنَبِّي (ت354هـ) بالحُزْنِ الشديد ؛ من جَرَّاء رحيل جِدَّته لأمه ، وكانت قد يَئِسَتْ منه لطول غيبته ؛ فكَتَبَ إليها كتابًا ؛ فَلَمَّا وصلها قَبَّلَتْهُ وَفَرِحَتْ به ؛ وحُمَّتْ من وقتها ؛ لِمَا غَلَبَ عليها من السرور ؛ فماتت : (الطويل)

أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ التِي شَرِبَتْ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا [75]

إنه يَحِنُّ إلى الموت الذي شَرِبَتْ كأسه ؛ فلا يُحِبُّ البقاء بعدها ، ويُحِبّ لأجل مقامها التراب وما ضمه ، يعني شخصها ، أو كلّ مدفون في التراب .

وجَعَلَ الذليلَ مَيِّتًا ، يقول : (الخفيف)

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيشٍ رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلامُ [76]

وفَضَّلَ المَوتَ على حياةِ الذُّلِّ : (الخفيف)

غَيرَ أَنَّ الفَتَى يُلاقِي المَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلا يُلاقِي الهَوَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوتِ بُدٌّ فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا [77]

وكَرَّرَ المعنى نفسه في قوله : (الطويل)

وَإِنْ لا تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّمًا تَمُتْ وَتُقَاسِي الذُّلَّ غَيرَ مُكَرَّمِ [78]

لقد تَحَوَّل الإحباطُ لَدَى المُتَنَبِّي إلى يأسٍ مُطْبِق ، وعندئذٍ شعر بأن ساعته قد أَزِفَتْ ، وأن حياة كهذه لا تستحق أن تُعَاشَ ، لقد تَمَنَّى الموتَ واستبطأه ، وكَرِهَ العيشَ ؛ لفساد الناس ؛ فلم يَجِدْ صديقًا مُؤَانِسًا ، أو عَدُوًّا مُدَاجِيًا ، يقول : (الطويل)

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوتَ شَافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
تَمَنَّيتَهَا لَمَّا تَمَنَّيتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا ، أَو عَدُوًّا مُدَاجِيَا [79]

نجد مُفَارَقَةً كبيرة إذ كيف يُصْبِحُ المَوتُ دواءً شافيًا إلاَّ إِنْ كانت هذه الأدواء لا علاج لها ، وكيف يتمنى الإنسانُ الموتَ ، وهو ليس شيئًا مُحَبَّبًا إلى النفس ، ولعلّ الذي دَفَعَ المُتَنَبِّي إلى ذلك اضطراره إلى مدح كافور الإخشيديّ (ت357هـ) عدما ترك سيف الدولة الحمدانيّ (ت356هـ) إثر خلاف بينهما ، ولكن مدحه كافور لم يحقق له شيئًا من طموحاته وأحلامه ، بل على العكس من ذلك لاقَى عنده كُلّ مشّقة ؛ مِمَّا دعاه إلى تَمَنِّي الموت كراهيةً لِمَا حوله .

ولم يكن حُسَّاد المُتَنَبِّي في مجلس سيف الدولة فحسب ، بل كانوا في معظم الأماكن التي ارتحل إليها ، وحَقَّقَ فيها نجاحًا . قال في وصف معاناته إزاءهم مصورًا طول نهاره وليله قلقًا وهمًّا ؛ حَيثُ تَمَاثَلَتْ عِنْدَهُ كُلٌّ من الحياة والموت ؛ لكثرة الحُسَّاد الذين كانوا يحاصرونه في حياته ؛ حتى إنه تَمَنَّى الموت خلاصًا منهم : (الوافر)

وَمَا مَوتٌ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمُ مَعِي فِيهَا نَصِيبَا [80]

وقد يصبحُ الموتُ في بعض المواقف ذا طعمٍ لذيذ ، يقول في هجاء كافور : (البسيط)

إِنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ العَينِ مَفْؤُودُ

وَيلُمِّهَا خُطَّةٌ وَيلُمِّ قَابِلِهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ المَهْرِيَّةُ القُودُ

وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ المَوتِ شَارِبُهُ إِنَّ المَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ [81]

في مثل هذا الموقف يُلَذُّ الموت ، وتطيب رؤيته ؛ لأنَّ الحُرَّ العاقلَ لا يَقْدِر على احتمال الذلّ ، ولا يرضى أن يُدِيرَهُ مثل كافور .

وقد تَمَنَّى أَبُو فِرَاس الحَمَدَانِيّ (ت357هـ) الموت ، بعدما ذَاقَ ذُلَّ الأَسْر وقَسْوَتِهِ ، يقول : (الطويل)

لَقِيتُ مِنَ الأَيَّامِ كُلَّ عَجِيبَةٍ وَقَابَلَنِي دَهْرِي بِوَجْهِ قَطُوبِ

وَلَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي تَشَعُّبُ حَادِثٍ وَلا كَرِهَتْ نَفْسِي لِقَاءَ شَعُوبِ[82]

ويُعْلِن أبو العلاء المعريّ (ت449هـ) سأمه من طُول العُمْر ؛ حتى إنه مَلَّ الحياة ، واستعجل الموت ، يقول : (البسيط)

مُدَّ الزَّمَانُ ، وَأَشْوَتْنِي حَوَادِثُهُ حَتَّى مَلَلْتُ ، وَذَمَّتْ نَفْسِيَ العُمُرَا [83]

والموت عند ابن الفارض (ت632هـ) ، وهو من الصوفية المتأثرينَ بالفلسفة اليونانيَّة ، يعني انتقال الإنسان إلى حياة روحيَّة خالصة ، أغزر علمًا من الحياة التي كان يحياها بجسده [84] ، يقول : (مُخَلَّع البسيط)

فَالمَوتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِي قَتْلِي [85]

تَمَنَّى الشعراءُ الموتَ في العصر العباسي ؛ لكي يتصلوا بالمحبوب ، كما نرى عند الصوفية ؛ ولتجنُّب الثقلاء ؛ وللخلاص من الذُّلّ والمَلَل والأَسْر والسِّجْن ؛ وحزنًا على وفاة الأحباب .

لقد تَعَالَتْ صَيحَاتُ الدعوة للجهاد في عصر صدر الإسلام ؛ رغبةً في نشر الإسلام ، والاستشهاد في سبيل الله ، ثُمَّ ظهرت فِرْقَة الخَوَارِج – في العصر الأُمَوِيّ – وطَلَبَتْ الموت والشهادة ؛ أملاً في دخول الجَنَّة ، وبانفتاح آفاق الفكر العربيّ على ثقافات جديدة وانتشار الفلسفة في العصر العباسيّ ؛ جاءت أشعار الشعراء أكثر عمقًا في تناول موضوع الموت ؛ مِمَّا أَدَّى إلى ظهور شعر الزهد ، وانتشار المعاني الزهدية على ألسنة الشعراء ، وقد تعاونت طوائف مختلفة في القرن الثاني الهجري على

النهوض بشعر الزهد [86] ، ثُمَّ نَشِطَ التصوُّف في أوائل القرن الثالث الهجري ، وأنتج كثيرًا من الآراء والمذاهب[87] ، وقد انتقلت ظاهرة (تَمَنِّي المَوتِ) – بدورها – من المشارقة – بتأثير التبادل الثقافيّ – إلى الأندلسيينَ.

المَبْحَثُ الثَّانِي : أَسْبَابُ تَمَنِّي المَوتِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ :

وُجِدَتْ ظاهرة (تَمَنِّي المَوتِ) في الشعر الأندلسيّ ؛ امتدادًا لوجودها في الشعر المشرقيّ ، ولارتباطها بواقع الشعراء ، وحياتهم الاجتماعيَّة ؛ فقد فَرَضَت

الأحوال السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة ؛ فضلاً عن الدوافع الشخصيَّة الذاتيَّة ، على الشعراء أن يرغبوا عن الحياة ، ويتمنوا الموت .

فقد نظر بعض شعراء الأندلس للحياة بعين البُغْض ، وللموت بعين الرضا ، وأَمَّلُوا أن يجدوا في الموت الراحة من هذا العالم المُظْلِم ؛ وما ذاك إلا لأنهم شَعَرُوا بتفاهة العيش .

وقد تَنَوَّعَتْ أسباب تَمَنِّي الموت في الشعر الأندلسيّ ما بين شخصيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة ، وقد فـَضَّل شعراءُ الأندلس الموتَ على الحياة لأسباب عديدة ، منها : إحساسهم بخواء الحياة وعبثها ، وانعدام المَنْطِقُ والخير فيها ؛ فصار الموتُ هو الأمل المُرْتَجَى ؛ لأنَّه المُخَلِّص من العذاب ، ومنهم مَنْ تمنِّي الموت لضُرٍّ نزل به ؛ من مرضٍ ، أو فاقة ، أو مِحْنَة من عدو ، أو نحو ذلك من شدائد الدنيا ، أو تَمَنَّاه لأنه يعيش في صُحْبَة قَومٍ لا يطيق رؤيتهم .

وقد ارتبط تفضيل شعراء الأندلس للموت بالتشاؤم ، الذي يرجع إلى اعتقادهم بغلبة الشَّرِّ في الوجود ؛ لأنَّ الإنسانَ مجبولٌ على الإفساد .

إِنَّهُمْ يشتهون الموت ، ويعدونه عذبًا طيبًا ، ورُبَّما تكون هذه الأمنية هي المُنْقِذ الوحيد لهم مِمَّا هُمْ فِيهِ ، وطالما رَدَّدُوا مِثْل هذه العبارات : القبر عندي خير من الفقر ، والمرض ، والسجن ، والغربة ، وفراق المحبوب ، وفقد الولد ، وسقوط مدينتي الغالية ، ولا غرو ؛ فإنَّ كثيرًا من الآمال تتبدد في أصيل العمر ؛ إذ يكتشف الإنسان تفاهة الدنيا ، وبُطْلان لذَّاتها ؛ فلا يلبث أن يدرك معنى العبث بكل حِدَّتِهِ وقسْوَتِهِ ؛ فلا يجد أمامه سبيلاً إلا تَمَنِّي الموت ، وكيف يطيبُ عيشُ مَنْ فقد ولده ، أو سُجِنَ ظُلْمًا ، أو طُرِدَ من وطنه ، أو ذَاقَ مَغَبَّة الفقر ؟

ويَتَمَنَّى الإنسانُ الموتَ حينما يصل إلى ذروة اليأس ، دون أن يستطيع العثور على رؤية تُضْفِي على العَالَمِ مِنْ حَوله معنى ؛ فإنه عندئذٍ « وإِنْ كَانَ حَيًّا في الظاهر ؛ فإنه مَيِّتٌ في الباطن » [88] .

ووجدنا مِنْ شعراء الأندلس مَنْ أوشك أن يتَمَنَّى الموت ؛ ومنعه من ذلك أشياء يُحِبّها في الدنيا ، ويَوَدُّ البَقَاء من أَجْلِهَا ؛ فلولا حُبُّ أبي عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأَنْصَارِيّ الشَّاطِبِيّ الشديد لبناته ، وخوفه الشديد مِنْ سيِّئَاته لتَمَنَّى أن يَنْعَمَ بالموت ، وما ذاك إلا لأنه يعيش في صُحْبَة قومٍ لا يطيق رؤيتهم : (مُخَلَّع البسيط)

لَولا بـَنَاتِي وَسَيِّئَاتِي ... لَطِرْتُ شَوقًا إِلَى المَمَاتِ

لأَنَّنِي فِي جِوَارِ قَومٍ ... بَغَّضَنِي قُرْبُهُمْ حَيَاتِي [89]

ويؤكد أبو حَيَّان الغَرْنَاطِيّ (ت745هـ) أنه لولا ثلاثة أشياء يحبها لتَمَنَّى الموت ، وهي : الفَوزُ بِالتَّوبة ، وصَون نفسه عن الجُهَّال ، وأخذ الحديث النبويّ الشريف : (الطويل)

أَمَا إِنَّهُ لَولا ثَلاثٌ أُحِبُّهَا تَمَنَّيتُ أَنِّي لا أُعَدُّ مِنَ الأَحْيَا
فَمِنْهَا رَجَائِي أَنْ أَفُوزَ بِتَوبَةٍ تُكَفِّرُ لِي ذَنْبًا ، وَتُنْجِحُ لِي سَعيَا
وَمِنْهُنَّ صَونِي النَّفْسَ عَنْ كُلِّ جَاهِلٍ لَئِيمٍ فَلا أَمْشِي إِلَى بَابِهِ مَشْيَا
وَمِنْهُنَّ أَخْذِي بِالحَدِيثِ إِذَا الوَرَى نَسَوا سُنَّةَ المُخْتَارِ وَاتَّبَعُوا الرَّأْيَا [90]

ولولا ثلاثة أشياء يعتزُّ بها أبو جعفر أحمد بن صابر القَيسِيّ – وهي : أداء فريضة الحَجّ ، وتحصيل العلم ونشره ، وأناسٌ يحبهم – لتَمَنَّى الموت ورَحَّبَ بِمَقْدِمِه : (السريع)

لَولا ثَلاثٌ هُنَّ وَاللهِ مِنْ أَكْبَرِ آمَالِيَ فِي الدُّنْيَا
حَجٌّ لِبَيتِ اللهِ أَرْجُو بِهِ أَنْ يَقْبَلَ النِّيَّةَ وَالسَّعْيَا
وَالعِلْمُ تَحْصِيلاً وَنَشْرًا إِذَا رُوِيَتْ أَوسَعْتُ الوَرَى رِيًّا
وَأَهْلُ وُدٍّ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُمْتِعَ بِالبُقْيَا إِلَى اللُّقْيَا
مَا كُنْتُ أَخْشَى المَوتَ أَنَّى أَتَى بَلْ لَمْ أَكُنْ أَلْتَذُّ بِالمَحْيَا [91]

ولولا ثلاثة أشياء شُغِفَ أبو عبد الله محمد بن جُزَيّ بِحُبِّهَا لَتَمَنَّى المَوتَ العَاجِل ، وهي : رواية الحديث النبويّ الشريف ، وتقييده بالكتابة ، والفقه فيه : (الكامل)

لَولا ثَلاثٌ قَدْ شُغِفْتُ بِحُبِّهَا مَا عِفْتُ فِي حَوضِ المَنِيَّةِ مَوردِي
وَهِيَ الرِّوَايَةُ لِلحَدِيثِ وَكَتْبُهُ ، وَالفِقْهُ فِيهِ وَذَاكَ حَسْبُ المُهْتَدِي [92]

ومن ذلك نَخْلُص أَنَّ هُنَاك مِنْ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ مَنْ كَرِهَ العيشَ لأنه يعيش بين قومٍ لا يطيق رؤيتهم ، ومَنَعَهُ مِنْ تَمَنِّي الموتِ بناته اللاتي يخشى عليهن ، وسيئاته التي يخاف عقوبتها ، ومنهم مَنْ رَغَّبَهُ في العيش رجاءَ الفوز بتوبة ، وصون النفس عن الجهلاء ، ومُدَارسة الحديث النبويّ الشريف ، وآخر أَحَبَّ الحياة كي يقوم بأداء فريضة الحج ، ويفوز بتحصيل العلم ونشره ، ويسعد برؤية أُنَاسٍ يحبهم ، وغَيرُهُ تَسَمَّكَ بالبقاء في الدنيا من أجل رواية الحديث وكتابته والفقه فيه .

رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الهَرَبِ مِنْ سِجْنِ الجِسْمِ :

تَمَنَّى الصوفيَّةُ الموتَ ؛ لرغبة النفس في الهرب من سِجْن الجِسْم [93] ، والغربة الروحيَّة عند الصوفيَّة « لا تقف عند مجرد غُرْبَة الإنسان في الحياة ، أو غربة الروح في هذا الوجود ، بل يصل بهم الأمر إلى الضيق بهذا الجسد الذي يأسر الروح ، ويُصبح أملهم هو أن يأتي ذلك اليوم الذي تتخلَّص فيه الروحُ من أسر هذا العالم ومن أسر الجسد ، وذلك عن طريق الموت الذي به تعود الروح إلى عالمها » [94] ، ويغتبط الصوفيُّ بالموت ؛ لأنه يُفْضِي إلى حياةٍ أُخْرَى أفضل ؛ فهو يُخَلِّصُ

الرُّوح من أسر الجسد ، الذي تريد مفارقته ؛ للعودة إلى حياتها السابقة قبل أن تحيا هذه الحياة الحِسِّيَّة الطارئة ؛ فهي تريد أن تعود إلى حقيقة ذاتها .

يقول محيي الدين بن عَرَبِي (ت638هـ) :(مُخَلَّع البسيط)

لَمَّا بَدَا السِّرُّ فِي فُؤَادِي فَنِيَ وُجُودِي وَغَابَ نَجْمِي
وَحَالَ قَلْبِي بِسِرِّ رَبِّي وَغِبْتُ عَنْ رَسْمِ حِسِّ جِسْمِي
وَجِئْتُ مِنْهُ بِهِ إِلَيهِ فِي مَرْكَبٍ مِنْ سِنِيِّ عَزْمِي [95]

ويُعلل القُشَيرِيّ (ت465هـ) إيثار الصوفيَّة الأسلوب الرمزيّ في التعبير ؛ فيقول : إنهم « يستعملون ألفاظًا فيما بينهم ، قَصَدُوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والإجمال والستر على مَنْ باينهم في طريقتهم ؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب ؛ غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها ؛ إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلُّف ، أو مجلوبة بضرب تَصَرُّف ، بل هي معانٍ أودعها اللهُ تعالى قلوبَ قومٍ ، واستخلص لحقائقها أسرارَ قومٍ » [96] .

وطريقة القوم « مَبْنِيَة على الموت ، وإليه الإشارة بقوله : (مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا) » [97] ، ومن المعروف أنَّ طريقَ العِشْقِ الإلهِي دائما تُسْلِم إلى القتل ، ويُقْصَدُ به « لحظات الشهود حين تَتَجَلَّى على المُحِبّ الأنوار الإلهيَّة ، وحين يَتَجَرَّد من حواسه ومِنْ كُلّ وجوده ؛ فلا يشعر بزمان ولا بمكان ، وإنما شعورٌ واحد هو شعور الفناء في الذات العليَّة ، وهو شعور يُمْسِي به صاحبه كأنما غَابَ عن حياته ، أو كأنما مَاتَ بسبب حُبِّهِ شهيدًا ، وهو موت لا بُدَّ منه في الحب الإلهيّ ؛ إذ لا يتحقق بدونه » [98] .

يقول ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ (ت بعد 647هـ) في مطلع إحدى موشحاته الصوفيَّة :

صَبٌّ صَبَابَاتُهُ شُهُود وَقَتْلُهُ فِيكُمْ مُبَاح
مُنَاهُ لَوْ أَسْعَفَ التَّمَنِّى مِنْ كَاسِرِيهِ جَبْرُ الجَنَاح [99]

يُصَوِّر التجربة الروحيَّة التي يُعبر فيها عن شوقه الدائم إلى الذات الإلهيَّة ، وقد خاطب محبوبه بصيغة الجمع للتعظيم والتقديس ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ قَتْلَهُ في سبيل الحب مُبَاحٌ غير مستنكر .

ثم يقول في البيت الأول من الموشحة :

قَدْ فَاقَ فِي وَجْدِهِ الوُجُودَا وَلَجَّ فِي لُجَّةِ الغَرَام
فَصَارَ فِي حُبِّهِ فَرِيدًا وَقَامَ فِيهِ أَعْلَى مَقَام
بِنَفْسِهِ جَدَّ أَنْ يَجُودَا فَلا اعْتِرَاضَ وَلا مَلام
دَعُوهُ فَاللَّوْمُ لا يُفِيد مَا إِنْ عَلَى مُغْرَمٍ جُنَاح
جَنَانُهُ بَاتَ فِيهِ يَجْنِى فُنُونَ أَفْنَانِ الافْتِضَاح [100]

يُوَجِّهُ للعُذَّال خطابَهُ قائلاً : إن اللومّ لا يفيد ، وعليهم أن يتركوا العُشَّاق وشأنهم ؛ لأنَّ العَاشِقَ لا يستحق اللوم ، فضلاً عن كونه لن يتخلى عن حبه مهما قالوا ؛ فهو أسير الحُبِّ .

والصوفية « يحبون الله سبحانه ويهدفون في حبهم إلى رؤيته ، ومشاهدة وجهه الكريم ، والتمتُّع بجماله الأزليّ ، والحالة التي يَحْظَى فيها الصوفيَّة بنعيم الوصال وجَنَّة القرب وسُكْر الشهود يسمونها(الفَنَاء) » [101] ، وهي « أسمى مرتبة يصل إليها المُريد ؛ فتتكشف له الحُجُب ، ويسمو إلى مرتبة الفيض والإلهام » [102] ، ويَسْتَلْزِمُ الفناءُ البقاءَ « فَإِنَّ الصوفيّ يَفْنَى عن نفسه ليبقى في رَبِّهِ » [103] .

ويمكن أن نقول إن الفناء – كما يفهمه الصوفيَّة – « حالة وجدانيَّة عالية ، لا يُغْنِي في تحليلها منهج العقل ؛ لأنَّ طريقها الذوق والوجدان والممارسة » [104] ، « ويبلغ الصوفيّ أرقى درجات الفناء عندما يفنى عن فنائه ؛ أيّ عندما ينقطع شعوره بحال فنائه وإدراكه إياه ، وهنا يُقال إنَّ العَبْدَ استولى عليه سلطان الحقّ ؛ فلا يشهد شيئًا سواه » [105] ، ولا يشعر الفاني « بما حوله ، بل لا يحس بنفسه ، حتى لو أُحْرِقَ بالنار لما أَحَسَّ لأنه فَنِيَ عَمَّا سِوَى الله ... وبالفناء يفقد الصوفيَّة عالم الناس ليعيشوا في عالمٍ آخر ، هو عالم الجمال المُطْلَق والخير المُطْلَق والحَقّ المُطْلَق ، وهم في عالمهم هذا ليسوا على درجةٍ سواء بالنسبة لموضوع معرفتهم وحُبّهم ، فمنهم مَنْ يُشَاهِدُ هذا الموضوع وهو في حال هيبة أو وحشة ، ومنهم مَنْ يُشَاهِدُهُ وهو في حال أُنْس به أو مناجاة له ، وقد تزداد درجة القُرْب حَتَّى تنتهي بالاتحاد بين المُحِبّ والمَحْبُوب » [106] .

وقد جاء المصطلح الصوفيّ (الفَنَاء) عند ابن الصَّبَّاغ في قوله : (مُخَلَّع البسيط)

غَنَّتْهُ وُرْقُ الوُجُودِ لَحْنًا عَلَى فُنُونِ الفَنَا فَبَاحَا [107]

وقوله :

فَنَاءُ أَهْلِ الطَّرِيقْ هُوَ الوُجُودُ المُطْلَقُ [108]

ليس وجود أهل الطريق في الصَحْو واليَقَظَة ، وإدراك ما يقع حولهم من الأمور الحسيَّة ، أو تَفَهُّم ما يتراءى لهم من صور الحياة الواقعيَّة ، وإنما وجودهم الحقيقيّ في الفناء عن ذلك كله ، وتواجُدْهم في رِحَاب الحَضْرَة القُدْسِيَّة .

ومِمَّا يجدر ذكره أن « حالة الكشف التي يُبَاشِرُهَا الصوفيَّة أثناء فنائهم في الله حالة معرفة بكل ما في الكلمة من معنى ، بل هي عندهم الطريق الصحيح إلى المعرفة » [109] .

ويقول ابن الجَنَّان الشَّاطِبِيّ (ت675هـ) : (المجتث)

أَفْنَانِي القَبْضُ عَنِّي حَتَّى تَلاشَى وُجُودِي

وَجَاءَنِي البَسْطُ يُحْيِي رُوحِي بِفَضْلِ وُجُودِي
فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ شُكْرًا لِذَاكَ بِالنَّفْسِ جُودِي
وَقُمْتُ أَشْطَحُ سُكْرًا فَغِبْتُ عَنْ ذَا الوُجُودِ [110]

ونشوة الحب عند الصوفيَّة يُسَمُّونها سكرًا ، وهى تُشْبِه في آثارها – إلى حَدٍّ كبير – السُّكْر الحسِّيِّ ، والسُّكْر حال خاصّ بأهل المحبَّة الذين تعلَّقت أرواحهم بالحقّ سبحانه ؛ فوجدوا في مُشَاهَدَة جماله جنتهم ، وفي حجبهم عنه عذابهم ، وليس من شك في أَنَّ حالة الوجد العارم ، التي سُمِّيَتْ في التصوف الإسلاميّ بالسُّكْر تُعَدُّ « من أكثر الأحوال الصوفيَّة امتلاءً بالتوتُّر والحركة المتجهة من الداخل إلى الخارج في مدّ مندفع وشعور غامر بالنشوة والانفراج العاطفيّ » [111] .

وخلاصة القول أنَّ السُّكْر المُوَلِّد للشطح « ينشأ عن مشاهدة الجمال المُطْلَق ، ومطالعة تجلياته في الأعيان ... وفي هذا الوجد الإلهيّ يُصَابُ الباطن بنشاط هائل وفرح زائد ، يُخرج الصوفيّ عن طوره ... فيُعبر عَمَّا يجد بلغة مُشْكِلة وألفاظ مستغربة هي مِمَّا اصطلح عليه الصوفية بالشطح » [112] .

والمتتبع للرمز الخمريّ عند الصوفيَّة يُلاحِظ أنهم يُقَسِّمُونَ حال السكر إلى ثلاث درجات هي : الذَّوق والشُّرْب والريّ [113] ، وقد اتخذ الصوفيَّة من الخمر وسيلة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم ، واتخذوها رمزًا لعواطفهم ومواجدهم ، وكانوا يُلَوِّحون بها إلى المحبَّة الإلهيَّة ؛ وتفسير ذلك لا عُسْرَ فيه ؛ لأنه « كما تُوجِب الخمر السكر الحسِّيّ ؛ فكذلك شراب المحبة الإلهيَّة يوجب السُّكْر المعنويّ بالغَيبَة عَمَّا سِوَى المحبوب » [114] .

وقد ارتبط السُّكْر عند الصوفيَّة – في كثيرٍ من الأحيان – بالشَّطْح ، الذي يتجاوز فيه الصوفيّ الضوابط المرسومة ، وتختلط عليه اللغة ، ويُعبر وقتئذٍ عَمَّا يجد بألفاظ غريبة ، وقد عَدَّهُ كبار الصوفية نزولاً عن درجة الكمال العرفانيّ .

المَوتُ بَعْدَ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ :

كان بُعد الشُّقَّة بين أهل الأندلس في أقصى الغرب ومثوى النبي (ρ) ، مع مَشَقَّة الرحلة ؛ مدعاةً إلى الشوق الجارف ، المصحوب باليأس مِن الحَجّ والزِّيَارة ، وداعيًا إلى تَوَسُّل المشتاقينَ بالنبيّ (ρ) لينالوا المغفرة ، ويَحْظَوا بزيارة قبره الشريف ، وغيرُ خافٍ أن الشوق إلى الأماكن المقدسة يزداد حُرْقَةً وتأجُّجًا حين يجد الشاعر موانع قاسية تحول بينه وبين الوصول إلى الحجاز ، وقد كان « لحنين المغاربة وتشوقهم للأماكن المقدسة لونٌ خاصّ ، نَبَعَ من بُعْدِ بلادهم عن الحِجَاز ، وما يتجشمونه في الرحلة إليه ؛ فكان الوصول إلى الأماكن المقدسة عندهم غاية لا تُدْرَك ، وأمنية الأماني ، وخاصَّة في الأوقات التي ينقطع فيها الطريق ، وتحفه المخاطر

في البَرِّ والبَحْر » [115] ، وقد « كان أهل الأندلس من أرقّ الناس شوقًا إلى زيارة الرسول (ρ) ؛ لأن بُعد المَزَار غَزَا قُلُوبَهُم بأقباس الحنين » [116] .

وعندما فاز أبو بكر محمد بن أبي عامر بن حَجَّاج الغافقيّ الإشبيليّ بالوصول إلى قبر الرسول المبارك ، حصل على مُبْتَغَاه من الدنيا ، بل أصبح يستعذب الموت ويطلبه ؛ لأنَّ بطيبة كُلّ شيء يطيب ، يقول : (السريع)

لَمْ يَبْقَ لِي سُؤْلٌ وَلا مَطْلَبْ مُذْ صِرْتُ جَارًا لِحَبِيبِ الحَبِيبْ
لا أَبْتَغِي شَيئًا سِوَى قُرْبِهِ وَهَا أَنَا مِنْهُ قَرِيبٌ قَرِيبْ
مَنْ غَابَ عَنْ حَضْرَةِ مَحْبُوبِهِ فَلَسْتُ عَنْ طَيبَةَ مِمَّنْ يَغِيبْ
لا تَسْأَلِ المَغْبُوطَ عَنْ حَالِهِ جَارٌ كَرِيمٌ وَمَحَلٌّ خَصِيبْ
العَيشُ وَالموَتُ هُنَا طَيِّبٌ بِطَيبَةٍ لِي كُلُّ شَيءٍ يَطِيبْ [117]

وتَمَنَّى رضي بن رضا أبو عمرو الكاتب المالقيّ (ت بعد 570هـ) حَجَّ بيت الله الحرام ، وزيارة قبر المصطفى ، مستشفعًا به ، وأن يكون ذلك حُسْن الختام لحياته ، وهو يأسفُ لأنه يعيشُ في بلدٍ بعيدٍ جِدًّا ؛ بحيث تَعَذَّرَتْ معه سُبُل الزيارة : (المتقارب)

بَكَيتُ بِدَمْعٍ كَذَوبِ العَقِيقْ غَرَامًا وَشَوقًا لِوَادِي العَقِيقْ
وَبَيتٍ عَتِيقٍ ثَوَى تُرْبَهُ مُحَمَّدٌ المُصْطَفَى أَو عَتِيقْ
فَلِلَّهِ تُرْبٌ كَمِسْكٍ سَحِيقْ عَدَانِي عَنْهُ مَكَانٌ سَحِيقْ
بِوُدِّيَ لَو سِرْتُ سَيرَ العَنِيقْ أَجُوبُ إِلَى البَيتِ نِيقًا فَنِيقْ
فَأَبْغِي لأَعْلَى رَفِيقٍ خَلاصًا عَسَى الرَّبُّ أَعْلَى يُرَى بِي رَفِيقْ [118]

وقد حَرَصَ المسلمونَ على زيارة قبر النبي (ρ) ، وطلب الشفاعة عنده ، وظَلُّوا دائمي الشوق إلى المعاهد النبويَّة ، يبثونها لواعج نفوسهم ، ويرسلون إليها التحيات ، ويدعون لها بالسُّقْيَا .

الاسْتِشْهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ :

إنَّ الجَنَّةَ تحت ظلال السيوف ؛ لذا تَصْبُرُ النفوسُ في مَوطِنِ القِتَالِ ، وقد تَمَنَّى صَاعِد الأندلسيّ (ت462هـ) أن يستشهد في سبيل الإسلام في معركة (جَرْبَيرة) ، التي تذكَّرَ بها معركة بَدْر الخالدة ضدّ الكُفَّار ؛ لأنَّ مَنْ يَنَالَ الشهادةَ يُعَدُّ من السُّعَدَاء ، يقول : (الكامل)

اليَومَ عَاشَ الدِّينُ وَابْتَدَأَ الهُدَى غَضًّا ، وَعَادَ المُلْكُ عَذْبَ المَورِدِ
وَوَقَفْتُ فِي ثَانِي حُنَينٍ وَقْفَةً فَرَأَيتُ صُنْعَ اللهِ يُؤْخَذُ بِاليَدِ
مَنْ فَاتَهُ بَدْرٌ ، وَأَدْرَكَ عُمْرُهُ جَرْبَيرَ فَهْوَ مِنَ الرَّحِيلِ الأَسْعَدِ
فَوَدَدْتُ لَو حَتَمَ القَضَاءُ بِأَنَّنِي فِي القَومِ أَوَّلُ طَالِعٍ مُسْتَشْهَدِ [119]

وحين هُوجِمَتْ إِشْبِيلِيَة خَرَجَ المعتمدُ مدافعًا عن بلده ونفسه وأهله ، وعليه

قميصٌ يَشِفُّ عن بدنه ، وقد اعتزل السلاح ، والسيف منتضى بيده ، وحَمَلَ على الداخلينَ فرَدَّهُم على أعقابهم ، وكان – في ذلك الوقت – يَتَمَنَّى الموت ، ويسعى إليه ، مُفضِّلاً إياه على سقوط إِشْبِيلِيَة ، والتنكيل به وبأهله ، يقول : (مجزوء الكامل)

وَأَلَذُّ مِنْ طَعْمِ الخُضُو ... عِ عَلَى فَمِي السُّمُّ النَّقِيعُ
قَدْ رُمْتُ يَومَ نِزَالِهِمْ ... أَلاَّ تُحَصِّنَنِي الدُّرُوعُ
وَبَرَزْتُ لَيسَ سِوَى القَمِيـ ... ـصِ عَلَى الحَشَا شَيءٌ دَفُوعُ
وَبَذَلْتُ نَفْسِي كَي تَسِيلَ ... إِذَا يَسِيلُ بِهَا النَّجِيعُ
أَجَلِي تَأَخَّرَ، لَمْ يَكُنْ ... بِهَوَايَ ذُلِّي وَالخُضُوعُ
مَا سِرْتُ قَطُّ إِلَى القِتَا ... لِ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرُّجُوعُ [120]

وهَنَّأَ الأعمى التُّطَيلِيّ (ت525هـ) الهوزنيّ بالعيد ، وأعلن أنَّ الموتَ في ساحة المعركة وسط الأعلام الخفاقة غاية المُنَى لكل جُنْدِي في الجيش : (البسيط)

يَا لَذَّةَ العَيشِ إِنِّي عَنْكِ فِي شُغُلِ ... لا نَاقَتِي مِنْكِ فِي شَيءٍ وَلا جَمَلِي
حَسْبِي خَلْعَتُكَ لِلأَعْلامِ خَافِقَةً ... المَوتُ فِي ظِلِّهَا أَحْلَى مِنَ العَسَلِ [121]

وقد صف ابن حَمْدِيس الموتَ بالحلاوة واللذَّة عندما رَثَى القائدَ عليّ بن أحمد الصّقَلِيّ ، وما ذاك إلا لأنه شهيد ؛ لذا كان الموتُ له شَهْدًا ؛ لأنَّ الشهيدَ يتنعم في جَنَّات ، وقد شَبَّهَ الأمر المعنويّ وهو الموت ، بالأمر المحسوس وهو العسل ، يقول : (الطويل)

فَيَا سَاكِنَ القَبْرِ الذِي ضَمَّ تُرْبُهُ ... شَهِيدًا كَأَنَّ المَوتَ كَانَ لَهُ شَهْدَا [122]

وغيرُ خافٍ أَنَّ الشهيدَ بعد موته يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ لِمَا يرى من الكرامة .

وهناك مَنْ جَعَلَ الموتَ خِلاًّ عزيزًا له ، مثل أرقم بن لبون ؛ الذي رثاه ابن الزَّقَاق بقوله : (الكامل)

لَعَبِسَ الشِّهَادَةَ حُلَّةً حَمْرَاءَ مِنْ ... عَلَقٍ تَعُمُّ السَّابِرِيَّ فَضُولا
يَا شَدَّ مَا تَخِذَ المَنِيَّةَ خُلَّةً ... مِن بَعْدِ مَا اتَّخَذَ الحُسَامَ خَلِيلا [123]

ثم قَرَع نفسه وزَجَرَها عن التمتُّع بالدنيا بعد رحيله : (الكامل)

أَفَبَعْدَهُ تَبْغِي الحَيَاةَ إِذَنْ فَلا ... دَفَعَ البُكَا مِنَّا عَلَيهِ غَلِيلا [124]

وتَمَنَّى الفقيه أبو بكر بن الحَكِيم الرُّنديّ (ت708هـ) أَنْ يَنَالَ الشِّهَادَةَ في سبيل الله ؛ لكي تمحو ما تَقَدَّمَ من ذنوبه ، وتُنَجِّيه من النار ، يقول : (البسيط)

قَصْدِي المُؤَمِّلُ فِي جَهْرِي وَإِسْرَارِي ... وَمَطْلَبِي مِنْ إِلَهِي الوَاحِدِ البَارِي
شِهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ خَالِصَةٌ ... تَمْحُو ذُنُوبِي وَتُنْجِينِي مِنَ النَّارِ
إِنَّ المَعَاصِي رِجْسٌ لا يُطَهِّرُهَا ... إِلاَّ الصَّوَارِمُ مِنْ أَيمَانِ كُفَّارِ [125]

ومن ذلك نَخْلُص أن هناك مِنْ شعراء الأندلس مَنْ تَمَنَّى الموتَ شهيدًا ؛ فلم يَسِرْ يومًا إلى القتال إلا وهو يتمنى الموت ؛ فَإِنَّ الموتَ في ساحة المعركة مذاقه (أَحْلَى مِنَ العَسَلِ) ، وما ذاك إلا طمعًا في الثواب العظيم الذي أَعَدَّهُ اللهُ للشهداء ، من محو الذنوب والنجاة من النار .

الطَّمَعُ فِي عَفْو اللهِ :

هناك من استبشر بالموت ؛ لأنه يَقْدُمُ على خَالِقٍ يرجو رحمته ، وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ التِي هِيَ أَشْرَفُ ؛ فنجد ابن الناظر الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأَحْوَص الغَرْنَاطِيّ (ت679هـ) يَرْثِي نَفْسَهُ فيقول : (الطويل)

رَغِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا لِعِلْمِيَ أَنَّهَا مَحَلُّ حَيَاةِ المَرْءِ فِيهِ بَلاغُ
وَقَدْ لاحَ فِي فَودَيَّ شَيبٌ عَلَى الرَّدَى دَلِيلٌ وَفِيهِ مَا أَرَدْتُ بَلاغُ
وَأَمَّلْتُ مِنْ مَولايَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ يَكُونُ بِهَا مِنِّي إِلَيهِ بَلاغُ
فَأَحْظَى إِذَا الأَبْرَارُ قِيلَ لَهُمْ غَدًا هَلُمُّوا إِلَى دَارِ النَّعِيمِ فَرَاغُوا
رَأَيتُ بَنِيهَا مَا رَمَتْهُمْ سِهَامُهَا فَطَاشَتْ وَلا حُمَّ الحِمَامُ فَرَاغُوا
فَعُجْتُ إِلَى دَارِ البَقَاءِ بِهِمَّتِي فَعِنْدِيَ عَنْهَا رَاحَةٌ وَفَرَاغُ [126]

لقد تَمَنَّى الموت السريع كي يحظَى بعفو الله ، وينالَ ثوابه ، ويفوزَ بالخُلْدِ في جنات النعيم .

الخَوفُ مِنْ بَطْشِ الحَاكِمِ :

كان أبو عثمان عُبَيد الله بن محمد بن العَمر بن أبي عَبْدَة (ت296هـ) وزيرًا تصرَّفَ للأمير عبد الله بن محمد (ت300هـ) في الكُور والمدينة والخيل والقيادة ، ثُمَّ الكتابة الخاصَّة والوزارة ، وقد استأذن الأميرَ في آخر دولته لقضاء فريضة الحَجّ ؛ فأَذِنَ له ، وَحَجَّ ثم انصرف إلى قُرْطُبَة (Cordoba) ؛ فانقبض عن السلطان ، وأَخْلَدَ إلى الخُمُول ، وأقام على حاله تلك في داره إلى أن تُوُفِّيَ [127] .

وقد أضناهُ الخوفُ – الذي ملأ قلبه ، واستحوذ على مشاعره – وأَحَالَ حَيَاته إلى عذابٍ مُتَوَاصِل ، عندما كان في حال عقوبةٍ وإهمال ؛ فقال متمنيًا الموت العاجل من أجل تقصير مدة الخوف : (الوافر)

صُدُودٌ لَيسَ يَبْلُغُهُ عِقَابُ وَعَتْبٌ لَيسَ يَثْنِيهِ عِتَابُ
وَإِبْعَادٌ – بِلا ذَنْبٍ – طَوِيلٌ وَإِعْرَاضٌ وَهَجْرٌ وَاجْتِنَابُ
فَلا سَهَرٌ يَطِيبُ وَلا رُقَادٌ وَلا طَعْمٌ يَسُوغُ وَلا شَرَابُ
فَجِسْمِي نَاحِلٌ وَالجَفْنُ مِنِّي قَرِيحٌ ، وَالفُؤَادُ لَهُ اضْطِرَابُ
وَمَوتٌ عَاجِلٌ أَحْلَى وَأَشْهَى إِلَيَّ مِنْ انْ يُطَاوِلَنِي العَذَابُ [128]

وكان أبو جعفر بن سعيد (ت559هـ) مِمَّن عانَوا الخوفَ من بَطْشِ السُّلْطَانِ ؛ فقد استوزره السِّيْدُ أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، غير أنَّ أبا جعفرٍ طلب منه

أن يُعفيه من الوزارة فلم يفعل ، ثم حدث بينهما خلاف بسبب علاقة أبي جعفر بن سعيد بالشاعرة حفصة بنت الحاج الرَّكُونيّ (ت586هـ) ، وكان عثمان بن عبد المؤمن يهواها ، فأخذ هذا الأخير يتحيَّنُ له المَهَالك ؛ فما كان من الشاعر إلاّ الفرار إلى مكانٍ ناءٍ خوفًا من بطش السيدِ به ، وفي ذلك يقول : (الكامل)

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الحَيَاةَ وَطِيبَهَا وَوِزَارَتِي وَتَأَدُّبِي وَتَهَذُّبِي
بِمَحَلِّ رَاعٍ فِي ذُرَى مَلْمُومَةٍ زُوِيَتْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَقْصَى مَرْتَبِ
لا حُكْمَ يَأْخُذُهُ بِهَا إلاَّ لِمَنْ يَعْفُو وَيَرْأَفُ دَائِمًا بِالمُذْنِبِ
فَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ مَعَ امْرِئٍ مُتَغَضِّبٍ مُتَغَلِّبٍ مُتَرَتِّبِ
المَوتُ يَلْحَظُنِي إِذَا لاحَظْتُهُ وَيَقُومُ فِي فِكْرِي أَوَانَ تَجَنُّبِي
لا أَهْتَدِي مَعَ طُولِ مَا حَاوَلْتُهُ لِرِضَاهُ فِي الدُّنْيَا وَلا لِلمَهْرَبِ [129]

لقد تَمَنَّى الموت بسبب الخوف من عذاب السيد ، الذي غَضِبَ عليه وتَوَعَّدَهُ بالعقاب الأليم ؛ فتَمَلَّكَهُ الخوف والقلق ، ولم يجد طريقًا لرضاه أو الهرب منه إلا الموت .

فَسَادُ الزَّمَانِ :

لم يعد هناك مكانٌ للمبادئ العُلْيَا ، والقيم الإنسانيَّة الراقية ؛ لذا عَبَّرَ شعراء الأندلس عن فساد الحياة والأحياء ، وتذمَّرُوا من هذا الفساد ، وأعلنوا ضيقهم الشديد به .

واستبدَّ الشعور باليأس بالغَزَال ؛ حتى صار يَتَمَنَّى الموت ، ويَحْسُدُ الملفوف في الكفن ، يقول : (مجزوء الوافر)

لَقَدْ فَسَدَتْ فَمَا تَلْقَى بِهَا مَنْ لَيسَ ذَا شَجَنِ
وَصارَ الحَيُّ مِنَّا يَغـ ـبِطُ المَلْفُوفَ فِي الكَفَنِ ! [130]

ويقول أبو الحسن عليّ بن عبد الغني الفِهْرِيّ الحُصْرِيّ القيروانيّ (ت488هـ) في رثاء ابنه : (الرمل)

وَحَلا مُرُّ الحِمَامِ لَهُ إِذْ رَأَى الدُّنْيَا لَنَا وَحْلا [131]

لقد طاب لهذا الابن الموت ، واستعذبه ، والسبب في ذلك أنه عَلِمَ حقيقة الدنيا ، وأنها كَذِبٌ وخِدَاع .

وأقر أبو البَقَاء الرُّنْدِيّ بأنَّ الزمانَ الذي يعيش فيه قد استشرى فيه الفساد ، وسَادَ الظُّلْمُ ؛ لِذَا لذَّ الحِمَام عنده : (الوافر)

أَلا إِنَّا خُلِقْنَا فِي زَمَانٍ يَشِيبُ بِهَولِهِ مَنْ لا يَشِيبُ
وَقَدْ لَذَّ الحِمَامُ وَطَابَ عِنْدِي وَعَيشِي لا يَلَذُّ وَلا يَطِيبُ
لَحَى اللهُ الضَّرُورَةَ فَهْيَ بَلْوَى تُهِينُ الحُرَّ وَالبَلْوَى ضُرُوبُ [132]

وصَرَّحَ أبو العباس الشريف بأَنَّ الموتَ أَهْوَنُ من العيش في زَمَنٍ يرتفع فيه الوضيعُ اللئيمُ : (البسيط)

المَوتُ أَهْوَنُ مِنْ عَيشٍ لَدَى زَمَنٍ يُعْلِي اللَّئِيمَ ، وَيُدْنِي الأَشْرَفَ العَالِي (133)

عندما فَسَدَ الزَّمَانُ ، نَظَرَ الشاعرُ حَولَهُ فَلَمْ يَجِدْ بَصِيصَ أَمَلٍ ، عِنْدَئِذٍ كَرِهَ الحَيَاةَ ، وتَمَنَّى الموت ؛ بُغْيَةَ الوُصُولِ إلى الراحة الأبديَّة ، وصَارَ يَحْسُدُ المَيِّتَ الذي يَنْعَمُ بالسعادة في قبرِهِ ؛ فقد حَلا طَعْمُ المَوتِ بعد أن صارتِ الدُّنْيَا وَحْلاً ، وأُهِينَ الحُرُّ ، وعَلا اللَّئِيمُ ، وانْحَطَّ الشَّرِيفُ .

سُقُوطُ المُدُنِ :

تمنَّى بعضُ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ الموتَ ، بعد أن كانوا يَفِرُّون منه ، عندما رَأَوا المُدُن الأندلسيَّة تَسْقُط تِبَاعًا ، مدينة إثر أخرى ، وشاهدوا تخاذُل المسلمون وضعفهم . يقول الشاعر المجهول في بكائيته التي جَمَعَتْ بين رِثَاء المُدُن والاستغاثة ووصف ما آل إليه حال المسلمينَ ، مع الحرص على الإشارة إلى أسباب ذلك كله [134] : (الطويل)

وَكَمْ مِنْ فَتًى ثَبْتُ الجَنَانِ مُهَذَّبٌ يَوَدُّ المَنَايَا وَهْوَ كَانَ يُدِيرُهَا

لقد أَحْدَثَ سُقُوطُ المُدُنِ والممالك الأندلسيَّة اهتزازًا واضطرابًا في نفس شعراء الأندلس ، وأصيبوا بصدمة شديدة ، وأصابهم حُزْن مُقيم من جَرَاء إحساسهم بأنهم فقدوا وطنهم إلى الأبد ، وصَوَّرُوا ما خَلَّفَتْهُ الحرب من دَمَارٍ وخَرَابٍ في البلاد ؛ مِمَّا حَزَّ في نفوسهم ، وجعلهم في شوقٍ إلى الموت .

الإِخْفَاقُ فِي تَحْقِيقِ الأَمَانِيّ :

أزمة الشاعر المُثَقَّف المُبْدِع تتمثل في هذا الإهمال لمكانته وفضائله من قِبَل مجتمعه وأبناء زمانه ، على الرغم من ذَكَاءِ حِسِّه ، ودِقَّة فهمه ، وظهورِ فضله ، ومَحَلّه من العلم ؛ فهو لا يَنَالُ المنزلة التي تُوَازِي مَوَاهِبَهُ ، والمكانة اللائقة بفضائله ، بينما يَصَلَ الأوغاد – الذين يتصفون بالخِسَّة والدناءة والجهل والحُمْق – إلى مآربهم ؛ وما ذاك إلا لأَنَّ الدهرَ عنيفٌ بالكِرَام ، يستخفُّ بالعُقَلاء ، ويَغْدِرُ بالعُظَماء ، ولكنَّ عزاءه أَنَّ هَذِه الفَضَائِلَ والخصال الحميدة ستخلدُ مع الزمان ، ولا بُدَّ أن يأتيَ اليومَ الذي تُذْكَرَ فيه حتى لو بعد موته ، كما يحدثنا أبو الفَضْل جَعْفَر بن مُحَمَّد بن شَرَف (ت نحو 531هـ) بقوله : (الوافر)

وَأَنَّ الدَّهْرَ لَمْ يَعْلَمْ مَكَانِي وَلا عَرَفَتْ بَنُوهُ مَا لَدَيَّا

زَمَانٌ سَوفَ أُنْشَرُ فِيهِ نَشْرًا إِذَا أَنَا بِالحِمَامِ طُوِيتُ طَيَّا

أُسَرُّ بِأَنَّنِي سَأَعِيشُ مَيتًا بِهِ ، وَيَسُوءُنُي أَنْ مِتُّ حَيَّا (135)

وقد تَمَنَّى أبو الربيع العَبدريّ (ت631هـ) الخلاص من الحياة ؛ لأنه لم يَحْصُلْ على شيء ذي بالٍ في دنياه ، ولا أدرك ما يريد ويتمنى ، يقول : (الوافر)

أَخِي عُوفِيتَ وَالبَلْوَى ضُرُوبٌ تَعُمُّ ، وَتَارَةً تَأْتِي اخْتِصَاصَا
تَعَالَ فَخُذْ بِحَظِّكَ مِنْ هُمُومِي وَدَعْ أَطْلالَ هِنْدٍ وَالعِرَاصَا
وَبَاكِ أَخَاكَ دُنْيَا قَدْ تَوَلَّتْ وَدَهْرًا يَنْهَكُ العُمْرَ انْتِقَاصَا
وَمَا أَنْهَيتُ نَفْسِي فِي المَعَالِي وَلا أَدْرَكْتُ مِنْ ثَأْرٍ قِصَاصَا
فَلَيتَ العَيشَ إِذْ لَمْ يَقْضِ مَحْضًا رُزِقْتُ إِذَا انْقَضَى مِنْهُ الخَلاصَا [136]

المصائب التي تنزل بالإنسان نوعينِ : مصائب عامة تُصِيبُ أفرادَ المُجْتَمَعِ بأسره ، ولا تَخُصُّ فردًا بعينه ، ومصائب خاصَّة تختصُّ بفردٍ واحدٍ معروف ، مثل المصيبة التي حَلَّتْ بشاعرنا ، وجعلته يدعو صاحبه ليأخذ نصيبه مِنْ هُمُومه ، ويترك بكاء الأطلال ، والتحسُّر على الماضي ؛ فإذا لم يُرْزَقِ الإنسانُ عيشًا هانئًا تَقَرُّ به عينه ؛ فالخلاص من الحياة بالموت أَولَى .

ومن الطريف أنَّ هُنَاك مَنْ يتمنى الموت ؛ لأنه حَقَّقَ كُلَّ أمانيه في الدنيا ؛ فلم يبق له إلا تَمَنِّي الموت ، يقول ابن زيدون في رثاء والدة المُعْتَضِد : (الطويل)

تَمَنَّتْ وَفَاةً ، فِي حَيَاتِكَ ، بَعْدَ مَا حَشَدْتَ لَهَا الآمَالَ : مَرْأًى وَمَسْمَعَا [137]

لقد حَقَّقْتَ للفقيدة كُلّ آمالِها ، ورَأَتْ بِعَينِهَا هذه الإنجازات ، وسَمِعَتْ المادحين يُثْنُونَ عليكَ ؛ فامتلأت سرورًا وفرحًا ، وشعرت أنها أكملت دورها في الحياة ، وحَقَّقَتِ المُنَى ، ولم يبق لها أملٌ إلا أن تَمُوتَ في حياتك .

الذُّلُّ :

إنَّ المَوتَ خَيرٌ مِنْ حَيَاة الذُّلِّ ، وهم يفضلون أن يموتوا في عِزٍّ على أن يعيشوا في خِزْيٍ وهوان ؛ فإنَّ العَزِيزَ يَفْرَحُ بِرُؤية الموت ، ويَشْتَاقُ لَه ، ويُفَضِّلُهُ على حياة الإذلال والمهانة ؛ لذا رَحَّبَ ابن هَانِئ الأندلسيّ (ت362هـ) بالموت ، وفضله على الذُّلّ ، ورأى فيه الراحة من عناء الحياة وبؤسها ، يقول : (الخفيف)

إِنَّ ذُلَّ العَزِيزِ أَفْظَعُ مَرْأًى بَينَ عَينَيهِ مِنْ لِقَاءِ الحُتُوفِ [138]

وبلغ الحاجب المُصْحَفِيّ (ت372هـ) من الجلالة والعظمة والتحكُّم أيام الحكم المستنصر (ت366هـ) أمرًا لا مزيدَ عليه [139] ، وعَمِلَ المنصورُ بن أبي عامر (ت392هـ) على إسقاط الحاجب المُصْحَفِيّ عن الحجابة ، والانفراد بها دونه سنة 367هـ ، وعندما ساقه إلى مجلس الوزراء للمحاسبة قال : « يَا لَيتَ أَنَّ المَوتَ بَيعٌ فَأَغْلَى اللهُ سَومَهُ ؛ حتى يَرِدَهُ مَنْ قَدْ أطال عليه حَومَهُ » [140] .

وقد عاش الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ (ت515هـ) حياة قاسية ، وانتهى به الأمر أن يتمنى الموت على حياةٍ يقتضي العيشُ فيها ذُلَّ صاحبه ، يقول : (الوافر)

إِذَا مَا العَيشُ قَادَ إِلَيكَ ذُلاً فَإِنَّ العِزَّ فِي المَوتِ المُرِيحِ [141]

ويؤكد ابن لِيون التُّجِيبيّ (ت750هـ) أنَّ الموتَ خيرٌ من حياة الذُّلِّ والهَوَان ، وما حياةُ المَرْءِ إلاَّ في عِزِّهِ : (السريع)

لا يَرْتَضِي بِالدُّونِ إلاَّ امْرُؤٌ مُقَصِّرٌ ذُو هِمَّةٍ خَامِلَهْ
المَوتُ خَيرٌ مِنْ حَيَاةِ الفَتَى مُهْتَضِمًا ذَا رُتْبَةٍ سَافِلَهْ
رُوحُ حَيَاةِ المَرْءِ فِي عِزِّهِ مَنْ ذَلَّ مَاتَ المَيتَةَ العَاجِلَهْ (142)

ويُفَضِّلُ أبو عبد الله محمد بن جُزَيّ (ت757هـ) الموتَ على الخضوع والذل ؛ فَإِنَّ الموتَ يَهُونُ في سبيل العزِّ ، يقول : (الطويل)

وَإِنِّي لَمِنْ قَومٍ يَهُونُ عَلَيهِمُ وُرُودُ المَنَايَا فِي سَبِيلِ المَكَارِمِ
يَطِيرُونَ مَهْمَا ازْوَرَّ لِلدَّهْرِ جَانِبٌ بِأَجْنِحَةٍ مِنْ مَاضِيَاتِ العَزَائِمِ
وَمَا كُلُّ نَفْسٍ تَحْمِلُ الذُّلَّ ؛ إِنَّنِي رَأَيتُ احْتِمَالَ الذُّلِّ شَأْنَ البَهَائِمِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَظْفَرْ بِزَادِ مُسَافِرٍ لَدَيكُمْ فَعِنْدَ النَّاسِ تُحْفَةَ قَادِمِ (143)

إِنَّ الحُرَّ لا يَحْتَمِلُ الذُّلَّ ؛ فذلك شأن البهائم ، والاستغناءُ عن الناس سبيلُ القناعة ؛ فمن هَانَ عند قومٍ فليرحل عنهم ، ومَنْ ضَاقَ عَيشُهُ فِي بَلدٍ فليغادرها ؛ فالموت أهونُ من الذلِّ .

السِّجْن :

كثيرًا ما تَمَنَّى شعراءُ الأَنْدَلُسِ الموتَ للخلاص من السِّجْن وعذابه ؛ وأعلنوا أَنَّ سُكْنَى القبر أفضل من السِّجْن ، ولم يكتفوا بذلك بل شَبَّهُوا السِّجْنَ بالقبر المُظْلِم الذي يَضُمُّ رُفَات المَوتَى ؛ فإِنَّ المُقِيمَ في السجن يُدْفَنُ حَيًّا .

وقد رأى الحَاجِبُ المُصْحَفِيّ بعد سجنه في الموت لونًا من ألوان النعيم ، يُنْهِي به الإنسان حياته القاسيَة ، يقول : (الطويل)

وَإِنَّ زَمَانًا صِرْتُ فِيهِ مُقَيَّدًا لأَثْقَلُ مِنْ رَضْوَى ، وَأَضْيَقُ مِنْ رَمْسِ (144)

ورَحَّبَ بالموت الكريم بعد أن تَبَدَّلَ الحال وانقلب به ، من العِزِّ والرخاء ، إلى الذُّلِّ والعَنَاء ، يقول : (الطويل)

فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ ، مُوتِي كَرِيمَةً فَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ (145)

وتَوَسَّلَ أبو مروان عبد الملك بن غُصْن الخشنيّ الحجاريّ (ت454هـ) إلى المأمون بن ذِي النُّون صاحب طُلَيطُلَة (Toledo) كي يغفر زلته ، وأَقَرَّ بالذنب الذي ارتكبه في حَقِّه ، ووَصَفَ سُوءَ حاله في السجن ، وطلب رحمة المأمون حتى يفارقه ؛ فيكون كَمَنْ عَادَ للحياة : (الطويل)

فَدَيتُكَ هَلْ لِي مِنْكَ رُحْمَى لَعَلَّنِي أُفَارِقُ قَبْرًا فِي الحَيَاةِ فَأُنْشَرُ (146)

فإِنَّ السجينَ هو الدفينٌ ، وإذا خَرَجَ من سجنه ؛ فقد عاد للحياة مرة ثانية .

وكان الوزير أبو العلاء زُهر بن عبد الملك بنِ زُهر بمَرَّاكُش (Marrakech)، قد استدعاه أمير المسلمين يُوسُف بن تَاشُفِين (ت500هـ) لعلاجه ؛ فكتب إليه المُعْتَمِد راغبًا في علاج بعض كرائمه ، ومطالعة أحوالها بنفسه ؛ فقام بعلاجها ، ورفع قدر المُعْتَمِد بالتبجيل ، ودَعَا له بالبقاء الطويل ؛ فكتب إليه هذا الأخير إثر ذلك بهذه الأبيات ، مستنكرًا أن يَطْمَعَ أسيرٌ في طُول البقاء ؛ لأنَّ الموتَ – في هذه الحالة – أهنأُ من حياة الأشقياء في السجن ؛ فهو المحبوبُ الذي يَتَمَنَّى السجينُ رؤيته ؛ ليتخلصَ من بـُؤْسِه وشَقَائِهِ ، يقول : (الوافر)

دَعَا لِي بِالبَقَاءِ ، وَكَيفَ يَهْوَى أَسِيرٌ أَنْ يَطُولَ بِهِ البَقَاءُ
أَلَيسَ المَوتُ أَرْوَحَ مِنْ حَيَاةٍ يَطُولُ عَلَى الشَّقِيِّ بِهَا الشَّقَاءُ
فَمَنْ يَكُ مِنْ هَوَاهُ لِقَاءُ حِبٍّ فَإِنَّ هَوَايَ منْ حَتْفِي اللِّقَاءُ [147]

ويقول في رثاء ولديه : المأمون والراضي لو عُدْتُمَا للحياة مرةً ثانية ؛ لفَضَّلْتُم الموتَ على رؤيتي مُهَانًا ذليلاً في الأسر : (الطويل)

فَلَو عُدْتُمَا لاخْتَرْتُمَا العَودَ فِي الثَّرَى إِذَا أَنْتُمَا أَبْصَرْتُمَانِيَ فِي الأَسْرِ [148]

وقد تَمَنَّى الموتَ بعد أن فَقَدَ مَجْدَهُ ، وتبدَّل حاله ، وسُجِنَ في أَغْمَات : (الطويل)

لِنَفْسِي إِلَى لُقْيَا الحِمَامِ تَشَوُّقٌ سِوَايَ يُحِبُّ العَيشَ فِي سَاقِهِ حَجْلُ [149]

وقال فيه الفَتْح بن خَاقَان (ت535هـ) في كتابه (قَلائِد العِقْيَان) : « ولم تَزَلْ كَبِدُهُ تتوقَّدُ بالزَّفَرَات ، وخَلَدُهُ يتردَّدُ بين النَّكَبات والعَثَرات ، ونَفْسُهُ تتقسَّم بالأشجان والحَسَرات ، إلى أن شَفَتْهُ مَنِيَّتُهُ ، وجَاءَتْهُ أُمْنِيَّتُهُ ؛ فَدُفِنَ بِأَغْمَات ، وَأُرِيحَ مِنْ تِلْكَ الأَزْمَاتِ » [150] .

وقد شَبَّهَ ابن حَمْدِيس سجن المعتمد بالقبر في قوله : (الطويل)

وَكُنْتَ مُسَجًّى بِالظُّبَى مِنْ سُجُونِهَا بِسُورٍ لَهَا ، إِنَّ السُّجُونَ قُبُورُ [151]

وطَلَبَ أبو زكريا يَحْيَى بن هُذَيل (ت753هـ) من الدهر أن يصيبه بسَهْمٍ صَائِبٍ يُخَلِّصُهُ مِمَّا يُعَانيه في السجن من مَذَلَّة وهوان ، يقول : (الطويل)

أَيَا دَهْرُ إِنِّي قَدْ سَئِمْتُ تَهَدُّفِي أَجِرْنِي فَإِنَّ السَّهْمَ مِنْكَ مُصِيبُ [152]

ويمدح ابن الخَطِيب السلطان أبا سالم المرينيّ ، ويتحدث عن مِحْنَة سِجْنِهِ ، ويُثْنِي عليه لأياديه البيضاء عليه ؛ حيث إنه نَشَرَ مَيِّتًا قد ضم أشلاءه قبرُ ، يقول : (الطويل)

وَلولا حَنَانٌ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ وَأَحْيَيتَنِي ، لَمْ تَبْقَ عَينٌ وَلا أَثْرُ
فَأَوجَدْتَ مِنِّي فَائِتًا أَيَّ فَائِتٍ وَأَنْشَرْتَ مَيتًا ضَمَّ أَشْلاءَهُ قَبْرُ [153]

ومِمَّنْ تَعَرَّضَ للحبس قاضي القضاة أبو بكر محمد بن محمد بن عَاصِم القَيسِيّ الأندلسيّ الغَرْنَاطِيّ (ت829هـ) صاحب كتاب (حدائق الأزهار) ؛ حيث ذَكَرَ

وَلَدُهُ أبو يحيى بن عَاصِم الغَرْنَاطِيّ (ت860هـ) أنه مُنِيَ في عام 814هـ بالاعتقال المُتَطَاوِل الأمد ، الذي يقول في أثنائه واصفًا نفسه وكأنه مَيِّتٌ فعلاً : (الخفيف)

أَودَعُونِي تَحْتَ الثَّرَى وَنَسُونِي فَمُقَامِي فِيهِ مُقَامٌ طَوِيلُ
أَنَا حَيٌّ وَحَالَتِي حَالُ مَيتٍ لَيتَ شِعْرِي هَلْ لِلخُرُوجِ سَبِيلُ؟ (154)

وتَمَنَّى عبد الكريم القَيسِيّ (ت آخر ق 9 هـ) الموت ؛ لأنه وجده خيرٌ من تلك الحياة التي يعاني فيها البأس والشقاء وهو في الأسر ، يقول : (المجتث)

إِنْ لَمْ تُيَسِّرْ سَرَاحِي يَا رَبِّ يَسِّرْ مَمَاتِي
فَالمَوتُ عِنْدِي خَيرٌ مِنْ خِدْمَتِي لِلحَيَاةِ (155)

فهو أهون من الحياة التي يذوق فيها صنوفًا مِن العذاب والآلام : (البسيط)

المَوتُ أَهْوَنُ مِنْ أَسْرٍ بِآبِرَةٍ عِنْدَ الذِي ذَاقَهُ فِيهَا مِنَ النَّاسِ
مَا ذَاكَ إِلاَّ لِمَا يَلْقَى الأَسِيرُ بِهَا مِنَ الثِّقَافِ العَظِيمِ الخَطْبِ وَالبَاسِ (156)

ويسعى الإنسان للحصول على حريته ، التي تُعَادِلُ – في أهميتها – الحياة بأسرها ، وفقدان الحرية والتكبيل بالقيود يوازي – كما يقول ابن لِيون التُّجِيبِيّ – الموت البَحْت ، يقول : (السريع)

عَيشُ الفَتَى فِي تَرْكِ تَقْيِيدِهِ وَمَوتُهُ البَحْتُ إِذَا قُيِّدَا (157)

لقد ربط بين الموت والحرية ، بعد أن انتهى إلى أن الموت ، على الرغم من كُرْه الناس له ، يَحْمِلُ معه الحرية التي يتمناها الإنسان ؛ ففيه تحرُّرٌ من الدنيا وشرورها ؛ فقد أدرك أنَّ الحياةَ لا قيمة لها ، وما العيش فيها سوى عبث ، والخلاص منها يكون بالموت .

الغُرْبَةُ :

يرى الحُصْرِي القيروانيّ أنَّ الغُرْبَةَ موتٌ في الحياة ، بل هي أفظع من الموت ؛ فموتُ الكرامِ حياةٌ في مواطنهم ، لكن إذا اغتربوا ماتوا ، يقول : (البسيط)

مَوتُ الكِرَامِ حَيَاةٌ فِي مَوَاطِنِهِمْ فَإِنْ هُمُ اغْتَرَبُوا مَاتُوا وَمَا مَاتُوا (158)

وكان ابن حَمْدِيس يترقب – في شوقٍ – عودته إلى صِقِلِّيَّة (Sicily) ، والترقُّب معاناة ؛ فهو يحتاج إلى استقرارٍ دائم لا تُنَغِّصُهُ مشاعر الغربة والتَّرْحَال ، يقول : (الطويل)

مَتَى آتِكُمْ يُنْشَرْ لَكُمْ مِنْ ضَرِيحِهِ دَفِينُ اغْتِرَابٍ لا دَفِينُ رَغَامِ (159)

إنه يصف حالة التَّغَرُّب والبُعْد عن الوطن بأنها موتٌ في الحياة ؛ لقد انقطعت آمالُهُ في الحياة ؛ فهو يعيش فيها وكأنه ميت ، لقد رَأَى الغربةَ سِجْنًا « لا نهائيّ ؛ وقَرَنَ الغُرْبَة بالموت ، ويَئِسَ من العودة ، ولم يجد التعويض في البديل عن الوطن/الجنة » (160) ، وفي ذلك يقول : (الكامل)

يَا يَومَ رَدِّهِمُ إلى أوطَانِهِمْ لَرَدَدْتَ أَرْوَاحًا إلى أَبْدَانِ (161)

وتكون تَجْرِبة الغربة أقسى على الإنسان عندما تكون مفروضة عليه ، وهي تجربة مريرة ؛ لذا يُحَذِّرُ منها قائلاً : (الطويل)

وَإِيَّاكَ يَومًا أنْ تُجَرِّبَ غُرْبَةً فَلَنْ يَسْتَجِيزَ العَقْلُ تَجْرِبَةَ السَّمِّ [162]

يُمِيتُ السمُّ الإنسانَ مثله في ذلك مثل الغربة ؛ فهي أقسى من الموت ، ولستُ بحاجة – كما أعتقد – إلى تأكيد أنَّ هناك انفعالاً عاطفيًّا يَكْمُنُ وَرَاءَ هذا البيت ، تَحَوَّلَتْ به الفكرة إلى إحساس يُؤَثِّرُ في النفس ويُحَرِّكُها ، إنَّ الغُرْبَةَ مُوحِشَةٌ ، وهي تَتْرُكُ الإنسان فريسة للهموم ، والشاعر يُعَبِّرُ عن تجربة مريرة عاشها ؛ فنفسه تتمزق وتذوب شوقًا وحنينًا إلى الوطن ، إنه ألم مُجَرِّب خَبِرَ جيدًا مرارة الغربة وفراق الأوطان ، لقد عَبَّرَ عَمَّا في داخله بصدق ؛ فجاء تعبيره انفعاليًّا يحمل فكرة عميقة .

ويرى حازمُ القَرْطَاجنيّ (ت684هـ) أَنَّ مَنْ فَارَقَ سِرْبَهُ ، وعَاشَ في الغربة ، ذَلَّ ، وهانت نَفْسُهُ على الناس ، يقول : (الرجز)

إِنَّ ثَوَاءَ المَرْءِ فِي أَوطَانِهِ عِزٌّ ، وَمَا الغُرْبَةُ إِلاَّ كَالتَّوَى [163]

ويُقِرُّ عليّ بن موسى بن سعيد المَغْرِبِيّ (ت685هـ) أن (لَيسَ المَوتُ إِلاَّ التَّغَرُّبُ) [164] ؛ فهو يُفَضِّلُ الموتَ على أن يعيش غريبًا عن وطنه ، تُحِيطُ به الأفاعي والعقارب : (الطويل)

أَذُو طَمَعٍ فِي العَيشِ يَبْقَى وَحَولَهُ مَدَى الدَّهْرِ أَفْعَى لا تَزَالُ وَعَقْرَبُ

أَجِزْنِيَ أَنْجُو بِالفِرَارِ ؛ فَإِنَّهُ وَحَقِّكَ مِنْ نُعْمَاكَ عِنْدِيَ يُحْسَبُ

فَلا زِلْتَ يَا خَيرَ الكِرَامِ مُهَنَّأً فَعَيشِيَ مِنْهُ المَوتُ أَشْهَى وَأَطْيَبُ [165]

وعندما كان بمُرْسِية (Murcia) زاد شوقه لإِشْبِيلِيَة ؛ حتى إنه تمنى الموتَ ؛ كي يستريحَ من الشوق الذي يُسَبِّبُ له انزعاجًا شديدًا : (مُخَلَّع البسيط)

يُكَابِدُ المَوتَ كُلَّ حِينٍ لَو أَنَّهُ مَاتَ لاسْتَرَاحَا [166]

وقد قرن اللهُ (I) قَتْلَ النفسِ وشدته بإخراج الإنسان من وطنه ، يقول ابن لِيون التُّجِيبيّ : (السريع)

مَا أَهْنَأَ الإِنْسَانَ فِي عَيشِهِ مَا بَينَ أَهْلَيهِ ، وَفِي مَنْزِلِهْ

الذُّلُّ فِي الغُرْبَةِ يَا كَرْبَهَا وَكَرْبَ مَنْ قُوِّضَ عَنْ مَعْقِلَهْ

وَفِي اقْتُلُوا أَو اخْرِجُوا شَاهِدٌ سَاوَى خُرُوجَ المَرْءِ مَعَ مَقْتَلِهْ [167]

وعندما اضطر ابن الخَطِيب لترك الأندلس ، كتب أبياتًا يُخَاطِبُ بها السلطان محمد الخامس المخلوع بعد عبوره للمرة الثانية إلى الأندلس سنة 763هـ ، شاكيًا ومصورًا حال غربته : (الكامل)

إِنَّا قُتِلْنَا بِالنَّوَى سِيَّانِ مَنْ يُجْلَى عَنِ الأَوطَانِ أَو مَنْ يُقْتَلُ [168]

فهو يُسَاوِي بين الجلاء عن الأوطان والقتل ، ويجعل البُعْد عن الوطن أقسى من الموت .

الفَقْرُ :

جَاءَ في المَثَل العربيّ (غِنَى المَرْءِ فِي الغُرْبَةِ وَطَنٌ ، وفَقْرُهُ فِي الوَطَنِ غُرْبَة) [169] ؛ فإنَّ الفقيرَ – حتى لو أقام فِي وَطَنِه – لا بُدَّ أن يُلازِمَهُ الشعور بالغُرْبَة ، ويَخَافُ الفُضَلاءُ – أشدَّ ما يَخَافُونَ – الفقر وقسوته ؛ لأنَّ (مَنْ ذَهَبَ مَالُهُ هَانَ عَلَى أَهْلِهِ) [170] .

والموتُ خيرٌ لذوي الأحسابِ من أن تلصِق أيديهم بالتراب ، والأمر كما يقول الشاعر : (السريع)

لا تَحْسِبَنَّ المَوتَ مَوتَ البِلَى فَإِنَّمَا المَوتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ
كِلاهُمَا مَوتٌ ، وَلَكِنَّ ذَا أَفْظَعُ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ [171]

لذا شَكَا المُعْتَمِد في سجنه فقره ، وحاجة بناته إلى ما يلبسنه ، وعملهُنَّ خادمات في بيوت الآخرين ، بعد الغِنَى والجاه ؛ فالموتُ أهونُ عليه من ذلك ، يقول : (الوافر)

أَأَرْغَبُ أَنْ أَعِيشَ أَرَى بَنَاتِي عَوَارِيَ ، قَدْ أَضَرَّ بِهَا الحَفَاءُ
خَوَادِمَ بِنْتِ مَنْ قَدْ كَانَ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ – إِذَا أَبْدُو – النِّدَاءُ [172]

وتَمَنَّى ابن جُبَير (ت614هـ) الموت بسبب الحاجة والفقر ؛ فَإِنَّ الناسَ لا يسارعون لجبر المنكسر ، يقول : (المديد)

رَبِّ إِنْ لَمْ تُؤْتِنِي سَعَةً فَاطْوِ عَنِّي فَضْلَةَ العُمُرِ
لا أُحِبُّ اللُّبْثَ فِي زَمَنٍ حَاجَتِي فِيهِ إِلَى البَشَرِ
فَهُمُ كَسْرٌ لِمُنْجَبِرٍ مَا هُمُ جَبْرٌ لِمُنْكَسِرِ [173]

وجعل أبو البقاء الرُّنْدِيّ فقدَ المالِ مُسَاوِيًا تَمَامًا لفقد الروح ، يقول : (الوافر)

وَفَقْدُ المَالِ فِي التَّحْقِيقِ عِنْدِي كَفَقْدِ الرُّوحِ ذَا مِنْ ذَا قَرِيبُ [174]

وقد سَاوَى ابن لِيون التُّجِيبيّ بين الفقر والموت ، ولكنه جعل الفقر أقسى ؛ لأن المَيِّت قد دُفِنَ واستراح ، أما الفقير فمِنْ أَينَ لَهُ بِرَمْسِهِ ؟ يقول : (المجتث)

اعْذِرْ أَخَا الفَقْرِ فِي أَنْ يَضِيقُ ذَرْعًا بِنَفْسِهْ
الفَقْرُ مَوتٌ ، وَلَكِنْ مَنْ لِلفَقِيرِ بِرَمْسِهْ ؟
إِنَّ الفَقِيرَ لَمَيتٌ مَا بَينَ أَبْنَاءِ جِنْسِهْ [175]

إِنَّ مِنْ أقوى الأسباب التي تُنَغِّصُ الحياةَ ، وتجعل المرءَ يعاني فيها : الفقر ، الذي يُخْرِس الفَطِن عن حُجَّته ، ويجعله غريبًا في بَلْدَته ، نائيًا عَنْ أَحِبَّتِهِ .

المَرَضُ

تتراوح نَظْرَةُ المَرِيضِ إلى مَرَضِهِ ، بين الضجر منه ورفضه إلى درجة تمنِّي الموت ؛ للتخلّص من شدّة الألم ، والإذعان له وقبوله ؛ رغبةً في ثواب الله واستعدادًا للموت .

وذهب بعض الباحثينَ إلى أنَّ الألمَ حافزٌ قَوِيّ يدعونا إلى الوحدة والانفصال ، وهو – وحده – الذي يتيح الفرصة لأنْ نُعَانِي تَجْرِبة الوحدة على حقيقتها ؛ لأننا نشعر حينئذٍ بانفصالنا عن الكون ، على الرغم من تأصُّلِنَا في أعماق الوجود العام [176].

وقد يكون من الحديث المُعَاد أنْ نقولَ إنَّ « الإنسان الذي يتألم يميل دائمًا إلى الانعزال عن الناس ؛ لأنَّ من شأن الألم أنْ يُشْعِرَهُ بحدوده ، وأن يحتبسه – في الوقت نفسه – داخل تلك الحدود . ألا تُظْهِرنا التجربة كُلَّ يوم على أنَّ الألم يشلّ كُلّ انتباهنا ؛ فلا نجد في أنفسنا أيّ اهتمام بالناس ، أو بالعالم الخارجيّ ، أو بأيّ مظهر من مظاهر التسلية ؟ » [177].

إنَّ صَرْخَة المُتَأَلِّمَ « تنبعث من أعماق نفس حزينة وحيدة ، تشعر بأنها في جانب ، والعالم كله في جانب آخر ! »[178].

وهناك مِنْ شعراء الأندلس مَنْ أصابهم المرض ، ودارت بهم الأيام ؛ فتمنوا الموت ؛ ليتخلصوا من متاعبهم وآلامهم ، وقد سَئِمَ أحد شعراء الأندلس الحياةَ – على الرغم من حُبِّه الشديد لها – بسبب مرضه المُزْمِن ؛ فوَجَدَ في الموت مُحَرِّرًا من الألم ، يقول : (المتقارب)

سَئِمْتُ الحَيَاةَ عَلَى حُبِّهَا وَحُقَّ لِذِي السُّقْمِ أَنْ يَسْأَمَا

فَلا عَيْشَ إِلاَّ لِذِي صِحَّةٍ تَكُونُ لَهُ لِلتُّقَى سُلَّمَا [179]

وعندما اشتدَّ المرض بأبي عَامِر بن شُهَيد (ت426هـ) ، وأَوهَنَ جِسْمه ، ومَنَعَهُ من الحركة ، رأى أنَّ الموتَ أَرْفَقُ بِه ؛ لذا سعى إليه بأن فَكَّرَ في الانتحار وتدمير الذات ، والانتحار هو تَعَمُّد الإنسانِ أَنْ يَعْمَلَ عملاً بنفسه أو يقول قولاً يغلب على الظَّنِّ هلاكه منه ، وهو أقوى ردّ فعل لعدم القدرة على إيجاد معنى في الحياة ، ولا شك أنَّ اعتداء المرء على نفسه يثير الدهشة والاستغراب ، ولكن « الشخص الذي يُقْدِمُ على الانتحار في الحقيقة إنما يبغي استبدال حالة شعوريَّة بحالة شعوريَّة أخرى ؛ لأنه يريد أن يلتمس في راحة اللاوجود (أو في سكون العدم) خلاصًا من شَقَاءِ الوُجُود ؛ فهو لا ينزع إلى العدم من حيث هو عدم ، بل من حيث هو أداةٌ للخلاص أو التحرُّر » [180] .

ولكن ابن شُهَيد انثنى عن فكرة الانتحار ، واكتفى بندب نفسه والنُّوَاح عليها ، يقول : (الطويل)

أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي ، وَأَنْدُبُ نُبْلَهَا إِذَا أَنَا فِي الضَّرَّاءِ أَزْمَعْتُ قَتْلَهَا

رَضِيتُ قَضَاءَ اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ عَلَيَّ ، وَأَحْكَامًا تَيَقَّنْتُ عَدْلَهَا
أَظَلُّ قَعِيدَ الدَّارِ تَجْنُبُنِي العَصَا عَلَى ضَعْفِ سَاقٍ أَوهَنَ السُّقْمُ رِجْلَهَا
وَأَنْعَى خَسِيسَاتِ ابْنِ آدَمَ عَامِلاً بِرَاحَةِ طِفْلٍ أَحْكَمَ الضُّرُّ نَصْلَهَا
فَمَنْ مُبْلِغُ الفِتْيَانِ أَنَّ أَخَاهُمُ أَخُو فَتْكَةٍ شَنْعَاءَ مَا كَانَ شِكْلَهَا ؟
عَلَيكُمُ سَلامٌ مِنْ فَتًى عَضَّهُ الرَّدَى وَلَمْ يَنْسَ عَينًا أَثْبَتَتْ فِيهِ نَبْلَهَا
يُبِينُ وَكَفُّ المَوتِ يَخْلَعُ نَفْسَهُ وَدَاخِلُهَا حُبٌّ يُهَوِّنُ ثُكْلَهَا [181]

وجعل المرضَ المُزْمِنَ حَبِيب بن أحمد الشَّطْجِيريّ (ت430هـ) يُفَوِّضُ أَمْرَهُ لله ، يقول : (السريع)

الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى فَكُلُّ مَا يَقْضِي فِيهِ الرِّضَا
قَدْ كُنْتُ ذَا أَيدٍ ، وَذَا قُوَّةٍ فَاليَومَ لا أَسْطِيعُ أَنْ أَنْهَضَا
فَوَّضْتُ أَمْرِي لِلذِي لَمْ يُضِعْ مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ وَمَنْ فَوَّضَا [182]

واستبطأ ابن معاوية اللَّخْمِيّ الموتَ بسبب قسوة المَرَض وشِدَّته ، قال في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه : (المتقارب)

نَهَارِي نَهَارَانِ لا تَسْأَلُوا وَشَهْرِي مُقِيمٌ فَمَا يَرْحَلُ
دَعَوتُ الإِلَهَ لِكَشْفِ الرَّدَى فَقَالَ : بِحَقٍّ أَنَا أَفْعَلُ [183]

ويتحدث ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ (ت655هـ) عن مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه ، وهو آخر كلامه ، يقول : (الكامل)

جَهِلَ الطَّبِيبُ شِكَايَتِي ، وَشِكَايَتِي أَنَّ الطَّبِيبَ هُوَ الذِي هُوَ مُمْرِضِي
فَإِنِ ارْتَضَى بَرْئِي تَدَارَكَ فَضْلَهُ وَإِنِ ارْتَضَى سَقَمِي رَضِيتُ بِمَا رَضِي
مَا لِي اعْتِرَاضٌ فِي الذِي يَقْضِي بِهِ لَكِنْ لِرَحْمَتِهِ جَعَلْتُ تَعَرُّضِي [184]

يجعل المرضُ الفردَ يرغب عن الحياة ، ويتمنَّى مفارقتها طائعًا مختارًا ؛ فَإِنَّ عيشَ المريضِ ليس يطيبُ ؛ من شِدَّةِ الألم والحُزْن ، ولكنه في نهاية الأمر لا يَمْلِكُ إلا الرضا بقضاء الله وقدره ، والتماس شفائه .

العَمَى :

جَعَلَ أبو المُخَشَّى عَاصِم بن زيد (ت206هـ) العَمَى مساويًا للموت – وهذا ما تَوَصَّلَ إليه أيضًا علماء التحليل النفسيّ الذين « يُقِرُّونَ أنه في مستوى اللاشعور يكون فقدان العين مكافئًا للموت »[185] – وقد سَمَلَ هِشَام بن عبد الرحمن الداخل عينيه إثر بيتٍ قاله في حَوَلِه ، وكان هشام أحول ؛ فأحس أبو المُخَشَّى عندما فقد عينيه بأنه فقد الحياة بأسرها ؛ فرَثَى نفسه بقوله : (الرمل)

خَضَعَتْ أُمُّ بَنَاتِي لِلعِدَى أَنْ قَضَى اللهُ قَضَاءً فَمَضَى
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِنَّمَا مَشْيُهُ فِي الأَرْضِ لَمْسٌ بِالعَصَا
فَبَكَتْ وَجْدًا ، وَقَالَتْ قَولَةً ، وَهْيَ حَرَّى ، بَلَغَتْ مِنِّي المَدَى

فَفُؤَادِي قَرِحٌ مِنْ قَولِهَا : مَا مِنَ الأَدْوَاءِ دَاءٌ كَالعَمَى
وَإِذَا نَالَ العَمَى ذَا بَصَرٍ كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيتٍ قَدْ ثَوَى
وَكَأَنَّ النَّاعِمَ المَسْرُورَ لَمْ يَكُ مَسْرُورًا إِذَا لاحَ الرَّدَى [186]

عندما سَمِعَ الشاعرُ زَوجَهُ تَنْدُبُهُ مُتَوَجِّعة ، وتُتَوِّحُ قائلةً : (مَا مِنَ الأَدْوَاءِ دَاءٌ كَالعَمَى) ؛ مَزَّقَتْ هذه الكلماتُ فؤادَهُ ؛ فَإِنَّ المُبْصِرَ عندما يعمى ويفقد بصره ؛ فكأنه كان حيًّا ، ثُمَّ أُودِعَ في رَمْسِهِ ؛ فَالعَمَى يَجْعَلُ المرءَ يَتَمَنَّى الموت ، بعد أَنْ مَلأ اليأسُ قلبه من الدنيا .

السَّأَمُ :

وَصَفَ بول فاليري (Valéry) السأم في كتابه (الروح والرَّقْص) فقال : « هذا المرض الذي هو مرض الأمراض ، وهذا السّم الذي هو سم السموم ؛ هذا السم المضاد للطبيعة كُلّها ، إنما هو ما نسميه بالسأم من الحياة ! إنه ليس بالمَلَلِ العَارِض ، مَلَل التعب والكلال ، أو الملل الذي يُمْكِن رُؤيَة أصل جُرْثُومَته ، أو الوقوف على حدوده ، بل هو السأم الكامل ، السأم الخالص ، الذي لا يرجع منشؤه إلى سُوء الحظ أو المرض أو الضعف ، ويرضى بتأمُّل أسعد ما يمكن من الظروف ، وأخيرًا هو هذا السأم الذي ليس له مادة سوى الحياة نفسها ، وليس له سبب بعد ذلك سوى وضوح بصيرة الحيّ ، هذا السأم المطلق ليس في ذاته إلا الحياة عارية تمامًا ، إذا نظرت إلى نفسها بوضوح » [187].

فَإِنَّ من شأن المَلَل الذي يقترن بالقلق أن يزيد من حِدَّة شعورنا بالزمان ، ومعنى هذا أننا – كما لاحظ شوبنهور (Schopenhauer) – قَلَّمَا نشعر بالزمان في لحظات اللهو والسرور ، وإنما نحن نشعر به – على وجه الخصوص – في لحظاتِ الضَّجَر والأَلَم والمَلَل . وحينما يستبد المَلَلُ بالنفس البشريَّة ؛ فهناك يشعر الإنسان بالخلاء ، والخواء ، والضجر ، والتبرُّم ، وضيق الصدر ، وعدم الاكتراث ! وليس أشقُّ على الإنسان من أن يُصَارِعَ المَلَل ؛ فَإِنَّ الصراع ضد الملل هو صراع ضد الزمان نفسه ، فضلاً عن أنه كثيرًا ما يكون الملل غير ذي موضوع ! [188].

وقد سئمَ الغَزَال طُولَ البَقَاءِ ، وتَمنّى الموت ، ولاحت في عينيه علامات السأم والحُزْن والتفكير ، وتأرْجَح بين ماضيه وحاضره ، وكأنه غريقٌ بين لُجَّتَينِ ، يقول : (مجزوء الرمل)

هَبْكَ عِشْتَ الدَّهْرَ حَتَّى يَنْفَدَ الدَّهْرُ وَيَفْنَى
أَوَمَا قُصْرُكَ مِنْ ذَا كَ إِلَى أَنْ تُتَوَفَّى ؟ [189]

وتَعَجَّب ابن عبد رَبِّه أنه بَلَغَ من العمر اثنتي وثمانينَ سنة ، ولَمْ يَمُتْ : (الطويل)

وَمَا لِيَ لا أَبْلَى لِسَبْعِينَ حِجَّةً وَعَشْرٍ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا سَنَتَانِ ؟ [190]

وسأل القاضي أبو العبَّاس أحمد بن الغمَّاز البلنسيّ (ت693هـ) متعجبًا : كيف تبقى للمرءِ لذةٌ يطمع فيها وقد بلغ الثمانينَ من عمره : (المتقارب)

أَلَيسَ الثَّمَانُونَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَلَمْ تُبْقِ فِي لَذَّةٍ مَطْمَعَا [191]

بعد أن تنقضي السُّنُونَ ، ويمضي قطار العمر ، يَقِفُ الإنسانُ لينظر فيجد نفسه قد جاوز الثمانين من عمره ، وقد ذَاقَ حُلْوَ الحياةِ ومُرَّهَا ، وسَئِمَ مُتَعَهَا ، ولم يَبْقَ أَمَامَهُ إلا انتظار الموت المرتقب ، والمصير المحتوم .

الشَّيبُ :

بَكَى شعراءُ الأندلس زمنَ الشباب بحزنٍ وحُرْقَة ، وضعفٍ وانكسار ؛ لأنَّ رحيله بَثَّ المرارة في نفوسهم ، وبَدَّلَ حالهم من قوةٍ إلى ضعف ، ومن صحةٍ إلى مرض ، ومن مرحٍ إلى حزن ، ومن أملٍ إلى يأس ، ويكفي أَنَّ الشيبَ نذيرُ الموت ، وغيرُ خافٍ أَنَّ الإنسان ينصرف في دور الشباب « إلى الماديات ، ويصرف نشاطه في تحصيلها ، فيُلْهيه التكاثُر عن التأمُّل ، وتُطْغِيه القُوَّة فلا يبحث عن العِلَل » [192] ، وفي مرحلة الشيخوخة يتأمل في عواقب الأمور ، ويحاسب نفسه ، ويندم على التفريط في زمن الشباب .

وقد جَعَلَ ابن حَمْدِيس الشيب – في قسوته – مُسَاوِيًا للموت ، يقول : (المتقارب)

لَعَمْرُكَ مَا الشَّيبُ إمَّا بَدَا بِفَودَيكَ إلا الرَّدَى أو أَبُوهُ [193]

وأَكَّدَ أبو عبد الله بن خَمِيس التِّلْمِسَانِيّ (ت708هـ) أنه لن يَطِيبَ طَعَامُهُ أو يَلَذُّ شَرَابُهُ بعد أن فارق الشباب وقوته ، يقول : (الطويل)

وَهَيهَاتَ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَشَرْخِهِ يَلَذُّ طَعَامِي أَو يَسُوغُ شَرَابِي[194]

بعد أن يَتَجَاوَزَ الإنسانُ مرحلةَ الشبابِ ، بما تَزْخَرُ به من بهجة ، وقوة ، وصِحَّة ، وغِنَى ، ونشاط ، ويصل إلى مرحلة الشيخوخة ، بما تفيض به من حزن ، وضعف ، ومرض ، وفقر ، وخمول ؛ فلا يستطيع وقتئذٍ أَنْ يلتذ بالطعام ، أو يهنأ بالشراب ، ولا يَجِدُ بُدًّا من انتظار الموت .

فِرَاقُ المَحْبُوبِ :

لا يُصْبِحُ الموتُ مشكلةً ، تستولي على مجامع النفس ، إلا حينما يرتبط بمشكلة الحبّ ؛ لوجود صلة بين الحبّ والموت ؛ ألم يقل جبرييل مارسل (Gabriel Marcel) – على لسان إحدى شخصياته الروائية – : « إنَّ مَنْ أَحَبَّ شخصًا فكأنما هو يقول له : (إنك لن تموت قطّ بالنسبة إليّ ! ؟) » [195] .

ونحن نتفق مع جبريل مارسل في قوله : « إنَّ اهتمامي بمشكلة الموت قد لا يَعْنِي أنني أعلق أهمية كُبْرَى على وجودي الخاصّ ؛ فإن موتي ليس هو المشكلة ،

بل المشكلة هي في موت الأنت (Le toi) ، أعني ذلك الموجود المحبوب الذي لا يمكنني أن أَتَحَدَّثَ عنه بضمير الغائب ؟ » [196] .

ويُنْسِي الحبُّ الإنسانَ متاعب الشعور بالذات [197] ، وينتهي الشعور بالحُبّ إلى تَمَنِّي الموت . ويرى المُتَنَبِّي (ت354هـ) أنَّ العِشْقَ يُوجِبُ الموت لِشِدَّتِهِ ؛ لذا يتعجب مِمَّن لا يعشق كيف يموت ، يقول : (الكامل)

وَعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيفَ يَمُوتُ مَنْ لا يَعْشَقُ [198]

ولا شكَّ أنَّ موقف الوَدَاع من « المواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم ، وتذهب قُوَّة كُلِّ ذِي بصيرة ، وتسْكبُ عَين كُلِّ جَمُودٍ » [199] .

وقد تَمَنَّى ابن عبد رَبِّه أن يموت قبل يوم فراق محبوبته ، بعد أن ذاق قسوة الفراق ومرارته ، يقول : (الخفيف)

إنَّ يَومَ الفِرَاقِ أَفْظَعُ يَومٍ لَيتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَومِ الفِرَاقِ ! [200]

وقد استدعى الحَكَمُ المستنصرُ بالله الأُمَوِيّ أبا بكر محمد بن الحَسَن الزُّبَيدِيّ النحويّ (ت379هـ) فَأسرع إليه ؛ فَلَمَّا طَالَ نَوَاهُ ، استأذنه في الرجوع إلى أهله بِإِشْبِيلِيَة ؛ فلم يأذن له ؛ فكَتَبَ إلى جاريته سَلْمَى مُبَيِّنًا لها أنه لا يطيق الصبر على عذاب الفِرَاق ، الذي لا يختلف عن الحِمَام في شيء ، بل إنَّ الموتَ أَهْوَنُ منه ، يقول : (مُخَلَّع البسيط)

وَيحَكِ يَا سَلْمَ لا تُرَاعِي لا بُدَّ لِلبَينِ مِنْ زَمَاعِ
لا تَحْسَبِينِي صَبَرْتُ إلاَّ كَصَبْرِ مَيتٍ عَلَى النِّزَاعِ
مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ عَذَابٍ أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الوَدَاعِ
مَا بَينَهَا وَالحِمَامُ فَرْقٌ لَولا المَنَاحَاتُ وَالنَّوَاعِي [201]

وقد أظهر شعر ابن زيدون في وَلادة بنت المستكفي هوًى عنيفًا جامحًا ، « وكان الموت حاضرًا في فكره دائمًا ؛ حتى أصبح خاطرًا ملحًّا ، لا يمكن أن يمضي دون أن يدع تأثيره فينا » [202] .

ولم تجد الغَسَّانيَّة البَجَّانِيَّة (ت ق 5 هـ) أمامها إلا تَمَنِّي الموت بعد فراق الأحباب ؛ حيث أصبحت تعيش حياة تتساوى مع الموت تمامًا ؛ بسبب تقطُّع قلبها حزنًا لرحيلهم ، تقول : (الطويل)

فَمَا بَعْدُ إلاَّ المَوْتُ عِنْدَ رَحِيلِهِمْ وَإلاَّ فَصَبْرٌ مِثْلَ صَبْرٍ وَأَحْزَانُ [203]

من أقسى اللحظات التي يَمُرُّ بها الإنسان فراق المحبوب ؛ فَإِنَّ هذا الفراق يتساوى – في قسوته وشدته – مع الموت ؛ لذا تمنى الشاعرُ الموتَ قبل مَجِيء يوم الفراق .

وَفَاةُ الابْن :

بعد موت الابن ، يتَجَرَّعَ الأبُ غُصَص الفَقْد ، ويسأل عن جدوى الحياة ، وتغشاه سحابةٌ من اليأس والانقباض والخوف ، وتحيطُ به أَسْوَارُ الحُزْن من كُلِّ جانب ، وعندئذٍ يَتَمَنَّى الموت ؛ كي يستريح ، ولسان حاله يُرَدِّد مع ابن الرُّومِيّ (ت283هـ) قوله في رثاء ولده مُحَمَّد : (الطويل)

ثَكِلْتُ سُرُورِي كُلُّهُ إِذْ ثَكِلْتُهُ وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَّاتِ عَيشِي أَخَا زُهْدِ [204]

ولعلنا لا نجد فقدًا أعظم في إيلامه من فقد الأبناء ، وهو شيء يؤكده ابن عبد رَبِّه ، وقد فقد اثنين من أبنائه ، يقول : (المنسرح)

وَاكَبِدَا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي وَحَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ الكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسَفًا أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
لا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلا جَلَدٌ فُجِعْتُ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالجَلَدِ
لَو لَمْ أَمُتْ بَعْدَهُ كَمَدًا لَحُقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي [205]

ويقول في رثاء ولده أيضًا : (البسيط)

يَا سَيِّدِي وَمَرَاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي هَلاَّ دَنَا المَوتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا ؟
حَتَّى يَعُودَ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَحْدٌ ، وَيُلْبِسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنَا [206]

إنه يرغب في القرب من ابنه حيثما كان ؛ حتى لو كان في (قَعْرِ مُظْلِمَةٍ) ، بل إنه يتمنى أَنْ يجمعهما كفنٌ واحد ليكونا متلاصقينِ ، وطلبًا للراحة الأبديَّة ، التي تَمَثَّلَتْ – أمامَ ناظريه – في رَقْدَةِ القَبْرِ .

ويقول في رثاء ابنه يَحْيَى إنه دائم البكاء ، فاقد الصبر ، متجدد الأسى ، ويتَمَنَّى أن يتوسد القبر بدلاً منه : (الكامل)

بَلِيَتْ عِظَامُكَ وَالأَسَى يَتَجَدَّدُ وَالصَّبْرُ يَنْفَدُ وَالبُكَا لا يَنْفَدُ
يَا غَائِبًا لا يُرْتَجَى لإِيَابِهِ وَلِقَائِهِ– دُونَ القِيَامَةِ – مَوعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنُ مَلْحَدًا ضُمِّنْتَهُ لَو كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ المَلْحَدُ [207]

ويقول الحُصْرِيّ القيروانيّ : (السريع)

لا أَشْتَهِي الدُّنْيَا وَلَو أَنَّنِي مُتَوَّجٌ أَمْلِكُ أَجْوَازَهَا
حَلَّ بِأَجْفَانِكَ مَا رَاعَنِي فَكَيفَ أَسْتَحْسِنُ أَجْوَازَهَا [208]

إنه لم يَعُدْ لديه رغبة في الحياة ، حتى لو كان ملكًا مُتَوَّجًا على إمارة ، والسبب في ذلك ما رآه بعينيه من أَمَارات الموت على ابنه ؛ مِمَّا أدخل في قَلْبِهِ الرُّعْب والحُزْن ، وجعله منصرفًا عن الحياة ومُتَعِهَا .

ويقول في تعزية نفسه عن وفاة ابنه : (مجزوء الوافر)

حَبَبتُ مِنَ أَجْلِهِ الدُّنْيَا فَفَارَقَنِي لأَضْغَنَهَا [209]

كان الشاعرُ يُحِبُّ الدُّنْيَا ؛ لوجود ابنه الغالي فيها ، والآن بعد وفاته صار كارهًا لها ، مُقْبِلاً على الآخرة .

وقد رَثَى أبو الحسن علي بن الجَيَّاب الغَرْنَاطِيّ نفسه من خلال رثائه ابنه أبي القاسم ، واتهم قلبه بالقسوة ، وجفونه بالبخل ، ولسانه بالغدر ، فكيف يَتَأَتَّى له أن يعيش بعد أن أَودَعَ رُوحَهُ في القبر ؛ لذا صار يتَمَنَّى الموت ، ورَفَضَ الحياة : (الطويل)

هُوَ البَينُ حَتْمًا ، لا لَعَلَّ وَلا عَسَى فَمَا بَالُ نَفْسِي لَمْ تَفِضْ عِنْدَهُ أَسَى
وَمَا لِفُؤَادِي لَمْ يَذُبْ مِنْهُ حَسْرَةً فَتَبًّا لِهَذَا القَلْبِ سَرْعَانَ مَا قَسَا
وَمَا لِجُفُونِي لا تَفِيضُ مُوَرَّدًا مِنَ الدَّمْعِ يَهْمِي تَارَةً وَمُوَرَّسَا
وَمَا لِلِسَانِي مُفْصِحًا بِخِطَابِهِ وَمَا كَانَ لَو أَوفَى بِعَهْدٍ لَيَنْبِسَا
أَمِنْ بَعْدِ مَا أَودَعْتُ رُوحِيَ فِي الثَّرَى وَوَسَّدْتُ مِنِّي فَلْذَةَ القَلْبِ مَرْمَسَا
وَبَعْدَ فِرَاقِ ابْنِي أَبِي القَاسِمِ الذِي كَسَانِيَ ثَوبَ الثُّكْلِ لا كَانَ مَلْبَسَا
أُؤَمِّلُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً وَأَرْتَضِي مَقِيلاً لَدَى أَبْنَائِهَا وَمُعَرَّسَا [210]

بعد وفاة الابن ، يتغير حالُ الأب تمامًا ، وتَتَبَدَّل نظرتُهُ للدنيا ؛ ولا يَرَ فيها شيئًا يُسْعِدُ نفسه ، أو يُدْخِلُ السرورَ على قلبه ؛ فقد تقطعت كبده ، بعد أَنْ احترقت بلواعج الكمد ، وكاد يَمُوتُ أسفًا ، وسأل مُتَعَجِّبًا : (فَمَا بَالُ نَفْسِي لَمْ تَفِضْ عِنْدَهُ أَسَى!) .

رَحِيلُ الأَصْدِقَاءِ :

يرثي مقدمُ بن معافَي بن حسن بن زياد المالقيّ صديقه أبا مروان عبد الملك بن منذر البلوطيّ (ت368هـ) ؛ فيَرْثِي نفسه معه ، ويقول إنه – بَعْدَ مَوتِهِ – سَئِمَ الحياةَ ، ولم يَعُدْ يُبَالِي متى يموت : (الطويل)

عَلَيكَ أَبَا مَرْوَانَ يَومَ النَّوَى كِدْتُ أَمُوتُ ، وَلَو أَنِّي أَمُوتُ لَرَوَّحْتُ
مُصَابُ أَبِي مَرْوَانَ أَفْنَى تَجَلُّدِي فَصَبْرِيَ مَقْطُوعُ الحِبَالِ وَمُنْبَتُّ
تَجَرَّعَ كَأْسَ المَوتِ دُونِي لَيتَهُ يُؤَخَّرُ عَنْ ذَاكَ المَقَامِ وَقُدِّمْتُ
بِهِ كُنْتُ أَلْتَذُّ الحَيَاةَ وَإِنْ غَدَا صَرِيعَ المَنَايَا مَا أُبَالِي مَتَى مِتُّ [211]

وذكر ابن دَرَّاج القَسْطَلِيّ (ت421هـ) في قصيدته التي رَثَى فيها مُنْذِر بن يَحْيَى التُّجيبيّ (ت412هـ) أن مُحِبِّي الفقيد تركوا نفوسهم عند قبره ، ورجعوا بدونها ، وضلَّ الصبرُ عَمَّنْ كانوا يتصفون به من أهله ، وتحولَّت قلوبهم من الإقبال على الدنيا إلى الرغبة في الموت : (الطويل)

وَوُدِّعَتِ الأَرْوَاحُ عِنْدَ وَدَاعِهِ وَضَلَّ سَبِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ مُضِلُّوهُ
وَقَلَّبَتِ الدُّنْيَا قُلُوبًا وَأَنْفُسًا فَلا العَيشُ مَحْبُوبٌ وَلا المَوتُ مَكْرُوهُ [212]

وقال ابن شُهَيد – في أثناء مرضه قبل موته – لَمَّا نُعِيَ إليه أحد أصدقائه [213] : (البسيط)

أَهْدَى اللَّمَائِيُّ مِنْ أَزْهَارِ فِكْرَتِهِ نَشْرًا فَقَالَ الدُّجَى : مَرَّ اللَّمَائِيُّ

فَقِيلَ مَاتَ فَقَالَ اللَّيلُ قَارَبَ ذَا فَانْهَلَّ مِنْ مُقْلَتِي نَوءٌ سِمَاكِيُّ
لا عِشْتُ إِنْ مِتَّ لِي يَا وَاحِدِي أَبَدًا وَمَوتُنَا وَاحِدٌ لا شَكَّ مَرْئِيُّ
إِنَّ الكَرِيمَ إِذَا مَا مَاتَ صَاحِبُهُ أَودَى بِهِ الوَجْدُ وَالثُّكْلُ الطَّبِيعِيُّ
إِنِّي إِلَى اللهِ مِنْ عُقْبَى بُلِيتُ بِهَا جَرَى بِهَا الحُكْمُ وَالأَمْرُ الإِلَهِيُّ [214]

إِنَّ الكَرِيمَ إذا مَاتَ صَاحِبُهُ فإنه سُرْعَان ما يلحق به ؛ لأنه لا يصبر على الحياة بدونه ، وهنا يدعو الشاعر على نفسه بالموت بعد وفاة صديقه ؛ فيقول : (لا عِشْتُ إِنْ مِتَّ لِي يَا وَاحِدِي أَبَدًا) .

وقد رَثَى الشاعرُ الفقيهُ أبو بكر بن خازم (ت496هـ) الفقيهَ أبا مروان بن سراج بقصيدة افتتحها بالتفجُّع والتحسُّر ، وأَبْرَزَ في هذا الافتتاح أثر نعيه فيه ، وتَمَنَّى أن يَشْرَبَ كأس الرَّدَى معه ؛ فقال : (الطويل)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوتَ نَادَى فَأَسْمَعَا فَأَنْتَ جَدِيرٌ أَنْ تَشِيبَ وَتَجْزَعَا
وَلَمَّا فَشَا بَينَ البَرِيَّةِ نَعْيُهُ أَصَمَّ بِهِ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي إِذْ سَمِعْتُهُ تَمَنَّيتُ أَنْ نُسْقَى كُئُوسَ الرَّدَى مَعَا [215]

وبعد أن لم يَبْقَ لابن خَفَاجَة صاحبٌ ، شَعَرَ أنه لا بُدَّ لاحقٌ بهم جميعًا ؛ فليس من المنطق في شيء أن يغادر الجميع الحياة ويَبْقَى هو على حالٍ من الترقُّب والمَلَل ، يقول : (الطويل)

وَمَا غَيَّضَ السُّلْوَانُ دَمْعِي وَإِنَّمَا نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ الأَصَاحِبِ
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى وَيَظْعَنُ صاحِبٌ أُوَدِّعُ مِنْهُ رَاحِلاً غَيْرَ آيِبِ ؟
وَحَتَّى مَتَى أَرْعَى الكَواكِبَ سَاهِرًا فَمِنْ طَالِعٍ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ ؟
فَرُحْمَاكَ يا مَوْلايَ دَعْوَةُ ضَارِعٍ يَمُدُّ إِلَى نُعْمَاكَ رَاحَةَ رَاغِبِ [216]

وقال أبو عبد الله بن أبي الخِصَال الغَافِقِيّ (ت540هـ) في رثاء عليّ بن محمد بن دري (ت520هـ) إِنَّ الناسَ يحبون البقاء مدةً طويلة في الدنيا ، ولا يعلمون أن كثرة بقائهم فيها تجعلهم يفقدون أحبابهم بالموت ، وأيضًا يفقدون صِحَّتهم : (الطويل)

يَوَدُّ الفَتَى طُولَ البَقَاءَ وَطُولُهُ يُوَرِّثُهُ ثُكْلَ الأَحِبَّةِ وَالبَدَنِ [217]

ومن الطريف أنَّ أبا بكر محمد بن أحمد بن الصَّابُونِيّ الصدفيّ (ت634هـ) تَمَنَّى أَنْ تُوَافِيه مَنِيَّته قبل صديقه الحبيب ، ولو بيومٍ واحد ؛ كي يتمكن هذا الصديق من تهيئته وإعداده ليسكن قبره ، ولكن عَكَسَ القَدَر هذه الأمنية ؛ فبدلاً من أن يحمده الشاعر على ذلك قام برثائه : (الكامل)

قَدْ كُنْتُ آمُلُ أَنْ يُقَدَّرَ قَبْلَهُ يَومِي فَيُخْتَمُ بِالجِهَازِ حِبَائِي
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ عَكَسَ الرَّدَى أُمْنِيَّتِي فَخَتَمْتُ فِيهِ مَدَائِحِي بِرِثَائِي [218]

وعندما فقد أبو حَيَّان الأندلسيّ أهله وولده وأصدقاءه واحدًا إثر واحد ، بكاهم أوجع البكاء ، وتمنَّى أن يَلْحَقَ بهم سريعًا :(الرمل)

أَرْقُبُ المَوتَ وَاسْتَبْطِئُهُ لَيتَهُ اليَومَ أَتَى أَو فِي غَدِ [219]

وإذا كان موت الصديق يَجْلُبُ الحزن والحسرة ؛ فَإِنَّ موتَ العدوِّ يَجْلُبُ السُّرُورَ ، وقد تَمَنَّى أحمدُ بن إبراهيم بن صَفْوان (ت763هـ) موت أعدائه قبله ، ولو بوقت قصير ؛ لأنَّ ذلك سيعود على قلبه بسرورٍ غامر ؛ فموتهم يضمن الأمن وعدم الخوف منهم ، يقول : (الطويل)

ولَكِنْ تَقَدُّمُ الأَعَادِي إِلَى الرَّدَى نَشَاطٌ يَعُودُ القَلْبَ مِنْهُ سُرُورُ
وَأَمْنٌ يَنَامُ المَرْءُ فِي بُرْدِ ظِلِّهِ وَلا حَيَّةٌ لِلحِقْدِ ثَمَّ تَثُورُ
وَحَسْبِيَ بَيتٌ قَالَهُ شَاعِرٌ مَضَى غَدَا مَثَلاً فِي العَالَمِينَ يَسِيرُ
وَإِنَّ بَقَاءَ المَرْءِ بَعْدَ عَدُوِّهِ وَلَو سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ لَكَثِيرُ [220]

ولكنَّ علي الحُصْرِي يخالفه الرأي ، ويُصَرِّحُ بأنه لا يسعد بالعيش بعد وفاة أعدائه ؛ لأن الموتَ ليس بتاركٍ أحدًا : (المتقارب)

وَمَا سَرَّنِي العَيشُ بَعْدَ العِدَى إِذِ المَوتُ مَنْ فَاتَهُ أَدْرَكَا [221]

تَمَنَّى كَثِيرٌ من شعراء الأندلس الموتَ بعد وفاةِ أصدقائهم ؛ لأنهم لا يطيقون العيش بدونهم ؛ فقد كانت صحبتهم تُؤنِسُ وَحْشَتَهم ، وتَمُدّهم بالرأي القويم ، وتساعدهم على مواجهة شدائد الحياة ، وبعد موتهم صارت الحياة صحراء قاحلة ، لا مُؤْنِسَ فيها ؛ فرغبوا عنها ، وتمنوا فِرَاقها .

رُؤْيَة المُتَوَفَّى :

تَمَنَّى بعضُ شعراء الأندلس الموتَ لرؤية المُتَوَفَّي المحبوب ، الذي سبقهم إلى الموت ، يقول أبو عبد الله الرشَّاش في رثاء فقيه الأندلس أبي مَرْوَان عبد الملك بن حبيب بن سُلَيمَان السلميّ (ت239هـ) : (الطويل)

لَئِنْ أَخَذَتْ مِنَّا المَنَايَا مُهَذَّبًا وَقَدْ قَلَّ فِيهَا مَنْ يُقَالُ المُهَذَّبُ
لَقَدْ طَابَ فِيهِ المَوتُ وَالمَوتُ غِبْطَةٌ لِمَنْ هُوَ مَغْمُومُ الفُؤَادِ مُعَذَّبُ [222]

لقد صار الموت أمرًا مرغوبًا ، مُحَبَّبًا إلى النفوس ؛ لأنَّ مَنْ يَمُوت بعد هذا المُتَوَفَّى المُهَذَّب سينعم برؤيته ؛ وفوق ذلك سيتخلص من هموم الدنيا وكروبها .

غَضَبُ الوَالِدِ :

تَمَنَّى الرَّاضِي يزيد بن المُعْتَمِد (ت484هـ) الموتَ ، وفَضَّلَهُ على أن يعيش ووالده غاضبٌ عليه ، وكان أبوه المعتمد يلومه بين الحين والحين فيعتذر ، يقول : (مجزوء الكامل)

ذَكَّرْتَ عَبْدَكَ سَاعَةً يَبْقَى لَهَا مَا عَاشَ ذَاكِرْ
يَا لَيتَهُ قَدْ غَيَّبَتْـ ـهُ عِنْدَهَا إِحْدَى المَقَابِرْ [223]

وفي قصيدة أخرى يجعلُ سُخْطَ أبيه معادلاً للموت الذي يرهبه ، يقول : (الكامل)

مَا لِي حُرِمْتُ رِضَاكَ لِي ، وَهْوَ الذِي قَدْ كُنْتُ أَرْهَبُ مِنْ زَمَانٍ أَنْكَدَا ؟
إِنِّي وَحَقِّكَ وَاجِدٌ بَينَ الحَشَا مِنْ أَجْلِ سُخْطِكَ مِثْلَ حَزِّ بِالمُدَى
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَعَفْوُكَ وَاسِعٌ أَو إِنْ يَكُنْ بُغْضٌ فَقَدْ بَانَ الرَّدَى [224]

يعتذر الراضي لوالده المعتمد ، ويَصِفُ حُرْقَتَهُ وحُزْنَهُ ، الذي يشبه قَطْع السكاكين ؛ بسبب سخط والده عليه ، وقد ساوى بين غضب والده والموت ؛ فكيف تهنأ حياته ووالده غير راضٍ عنه .

الخاتمة ونتائج البحث

انقسم شعراءُ الأندلسِ إزاء الحياةِ فريقينِ : الأول يَطْلُبُ عُمْرًا طويلاً ، ويَحْرِصُ على الاستمتاع بالحياة ؛ لذا جَدَّ في اقتناص المُتْعَة ما وَجَدَ إليها سبيلاً ، ورأى ضرورة اغتنام السرور وانتهاز فُرْصَة الأُنْس ؛ لأنه يُحِبُّ الحياة الناعمة المُتْرَفة ، ويجنح إلى المَرَح والطَّرَب ، ويبحث بدأبٍ عن تمام اللذة ، التي تمثلت في شهوةٍ تُنَال ، وكأسٍ يُشْرَب ، ونديمٍ يُضَاحِك ، ومنظرٍ بديع ، وقَيْنَةٍ تُغَنِّي ، وكتابٍ يُقْرَأ ، ونِعْمَةٍ تُدْرَك ، وحُلم يتحقق ، ومِنْهُم مَنْ رَغِبَ فيما عند الله من حُسْن الثواب للمتقينَ ؛ فأعرض عن الدنيا ، وجعل لَذَّتَهُ في طاعة الله والتماس مَرْضَاته .

وانتهى الفريق الآخر – بعد رحلته في الحياة – إلى نتيجة مُؤَدَّاها : إنَّ الموتَ قد يكون خيرًا من الحياة ؛ فَتَمَنَّى الموت ؛ نافرًا من بُؤْس الحياة ومتاعبها ؛ باحثًا عن الراحة ، وقد اختلفت نظرته للموت ، فلم يَعُدْ مصدرًا للخوف ، ونهاية كُلّ شيء ، بل صار تحرُّرًا من آلام الحياة ، وخلاصًا من فَسَاد الزمان ؛ لقد فَقَدَ الموتُ مع هؤلاء الشعراء منظره المُخِيف ، وصار أنشودةً عذبة ؛ تختفي فيها الهُمُوم بلا رجعة .

لقد تَعَالَتْ صَيحَاتُ الدعوة للجهاد في عصر صدر الإسلام في المَشْرِق ؛ رغبةً في نشر الإسلام ، والاستشهاد في سبيل الله ، ثُمَّ ظهرت فِرْقَة الخَوَارِج – في العصر الأُمَوِيّ – وطَلَبَتْ الموت والشهادة ؛ أملاً في دخول الجَنَّة ، وبانفتاح آفاق الفكر العربيّ على ثقافات جديدة وانتشار الفلسفة في العصر العباسيّ ؛ جاءت أشعار الشعراء أكثر عمقًا في تناول موضوع الموت ؛ مِمَّا أَدَّى إلى ظهور شعر الزهد ، وانتشار المعاني الزهدية على ألسنة الشعراء ، وقد تعاونت طوائف مختلفة في القرن الثاني الهجريّ على النهوض بشعر الزهد ، ثُمَّ نَشِطَ التصوُّف في أوائل القرن الثالث الهجريّ ، وأنتج كثيرًا من الآراء والمذاهب ، وقد انتقلت ظاهرة (تَمَنِّي المَوتِ) – بدورها – من المشارقة – بتأثير التبادل الثقافيّ – إلى الأندلسيين .

وأسباب تَمَنِّي الموت – عند الأندلسيين – كثيرة ، منها : رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الهَرَبِ مِنْ سِجْنِ الجِسْم ، والمَوتُ بَعْدَ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ ، والاسْتِشْهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، والطَّمَعُ فِي عَفْو اللهِ ، والخَوفُ مِنْ بَطْشِ الحَاكِمِ ، وفَسَادُ الزَّمَانِ ، وسُقُوط المُدُن ، والإخفاق في تحقيق الأماني ، والذُّلّ ، والسِّجْن ، والغُرْبة ، والفقر ، والمرض ، والعَمَى ، والسأم ، والشيب ، وفِرَاقُ المَحْبُوب ، ووفاة الولد ، ورحيل الأصدقاء ، وغضب الوالد .

وقد عَبَّرَ بعضُ الشعراءِ عن تمنيه الموت سريعًا ؛ ليلحق المُتَوَفَّى ؛ ففي ذلك فرحه وسروره بِلُقْيَاه ولو بالوفاة ، كما نرى عند أبي عبد الله الرشَّاش ، وهناك مَنْ كان أسرع شوقًا حيث تَمَنَّى الوفاة والدفن معه حالاً ، مثل ابن عبد رَبِّه .

وكان شعرهم صادقًا ، نابعًا من قلوبهم المُحْتَرِقَة بِنَارِ الحَسْرَةِ ؛ لذا أَثَّرَ في النفوس ، وألهب المشاعر ، ونَفَذَ إلى الأعماق ، وحَرَّكَ الأذهان .

الحواشي

(1) أبو حيان التوحيديّ : الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ت ، 36/2 .

(2) كمال اليازجي : جذور فلسفية في الشعر العربي القديم والمولد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ - 1992م ، ص 80 .

(3) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1379هـ - 1960م ، ص 439 .

(4) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1408هـ - 1988م ، 489/4 .

(5) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، مجموعة مشكلات فلسفية (2) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت ، ص 32 .

(6) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ،381/3 .

(7) ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، 1957م ، ص 277 .

(8) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط4 ، 1423هـ - 2002م ، ص 25 .

(9) صفوان التجيبي المُرْسِي : زَاد المُسَافِر وغُرَّة مُحَيَّا الأدب السَّافِر ، نشر عبد القادر محداد ، ط بيروت ، 1358هـ - 1939م ، ص 30.

(10) يقول فرويد : « ومن الحقائق التي تسترعي النظر أن لغرائز الحياة كثيرًا من الأواصرِ بإدراكنا الداخلي ، تعمل على تكدير صفو الحال ، وتؤدي أبدًا إلى أنواع من التوتُّر نَشْعُرُ باللَّذَّة عند التخلُّص منها ، بينما تبدو غرائز الموت كأنها تعمل دون أن يعترض سبيلها شيء ؛ حتى ليَلُوح أن مبدأ اللذة في الواقع يعمل في خدمة غرائز الموت » .

- فرويد : ما فوق مبدأ اللذة ، ترجمة إسحاق رمزي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1994م ، ص 106 .

(11) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص 83.

(12) ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 782 .

(13) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 575/5 .

(14) المصدر السابق ، 588/5 .

(15) المصدر السابق ، 579/3 .

(16) ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1407هـ - 1987م ، ص 141 .

(17) المصدر السابق ، ص 101 .

(18) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 421/3 .

(19) المصدر السابق ، 512/3 .

(20) فون شاك : الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1991م ، 1/ 157.

(21) حسن أحمد النوش : التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ - 1992م ، ص 276 .

(22) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 325/3 .

(23) المصدر السابق ، 515/5 .

(24) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، ص 98 .

(25) المرجع السابق ، ص 135 .

(26) (Thanatos) إله الموت عند اليونانيين .

- أحمد محمد عبد الخالق : سيكولوجية الموت والاحتضار ، مجلس النشر العلمي ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، الكويت ، ط1 ، 2005م ، ص 11 .

(27) أحمد محمد عبد الخالق : قلق الموت ، سلسلة عالم المعرفة (111) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 1987م ، ص 7 ، 209 .

(28) الهوتنتوت : شعب يعيش في جنوب إفريقيا ، يشبه البوشمن في اللغة والملامح الجسميَّة .

(29) جاك شورون : الموت في الفكر الغربيّ ، ترجمة كامل يوسف حسين ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة عدد (76) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، إبريل ، 1984م ، ص 16 من مقدمة المؤلف .

(30) المرجع السابق ، ص 253 .

(31) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، ص 112 .

(32) جاك شورون : الموت في الفكر الغربيّ ، ص 316 .

(33) المرجع السابق ، ص 16 من مقدمة المؤلف .

(34) أحمد درويش : الشاعر واستئناس الموت ؛ قراءة في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 15 ، ع 3 ، خريف 1996م ، ص 356 .

(35) أحمد محمد عبد الخالق : سيكولوجية الموت والاحتضار ، ص 138- 139 .

(36) العبث – كما يرى كامو – هو « خيبة أمل في قدرة الإنسان على الاستحواذ على الحقيقة ... وهو يُمَثِّل لحظة إيقاظ من خلالها ينهار حائط الوهم الذي يفصلنا عن الأشياء ... فينكشف كل شيء عاريًا تمامًا بلا أقنعة » .

- حسن حماد : الإنسان وحيدًا ؛ دراسة في مفهوم الاغتراب في الفكر الوجوديّ المعاصر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 1995م ، ص 84 – 85 .

(37) الميدانيّ : مجمع الأمثال ، قَدَّمَ له وعلق عليه نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1408هـ - 1988م ، 465/1 .

(38) عنترة بن شداد : شرح ديوان عنترة ، الخطيب التَّبريزي ، قَدَّمَ له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طرَاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ - 1992م ، ص 39 .

(39) عُرْوَة بن الوَرْد : ديوان عُرْوَة بن الوَرْد ؛ أمير الصعاليك ، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ - 1998م ، ص 89 .

(40) المصدر السابق ، ص 97 .

(41) الحَسَن البَصْرِيّ : الحماسة البَصْرِيَّة ، تحقيق وشرح ودراسة عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1420هـ - 1999م ، 334/1 .

(42) الأصمعيّ : الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976م ، ص 152.

(43) مجموعة شعراء : ديوان الهُذَلِيِّينَ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1385هـ - 1965م ، 127/2 - 128 .

(44) حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973م ، ص223 – 224 .

(45) الخَنْسَاء : أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، اعتنى بضبطه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1896م ، ص 152 .

(46) قيس بن الخطيم : ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، 1967م ، ص 49 .

(47) يوليوس ڤلهوزن : أَحْزَابُ المُعَارَضَة السِّيَاسِيَّة الدينيَّة في صدر الإسلام ؛ الخوارج والشيعة ، ترجمة عن الألمانية عَبد الرحمن بَدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958م ، ص 29 .

(48) للخوارج جملة أسماء أهمها أربعة : (الخوارج) : قيل لأنهم خرجوا على عليّ في صفين ، وقيل لأنهم خرجوا عليه في مسجد الكوفة ، وقيل لأنهم خرجوا في سبيل الدين . و(الشُّرَاة) : لأنهم باعوا أنفسهم في سبيل الله . و(المحكمة) : لأنهم قالوا لا حكم إلا الله . و(الحرورية) : لأنهم انحازوا في حروراء .

- سهير القلماوي : أدب الخوارج في العصر الأمويّ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1945م ، ص 25 حاشية (1).

(49) إحسان عباس : ديوان شعر الخوارج ، سلسلة الشعر ديوان العرب رقم (2) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 4 ، 1402 هـ – 1982م ، ص 135 .

(50) المصدر السابق ، ص 208 .

(51) المصدر السابق ، ص 24 .

(52)سهير القلماوي : أدب الخوارج في العصر الأمويّ ، ص 2 - 37 .

(53) سبب خروجه أنه حج ؛ فلَمَّا كان ببعض قُرَى السواد أرسل خادمه ليشتري خَلاًّ فباعوه خَمْرًا ؛ فَرَدَّهَا ؛ فأبى الخَمَّار أن يقبلها ؛ فاستعدى عليه والي القرية وكان من أهل الشام فلم يُعده ، وقال : خارجيّ خبيث ، والله لهي خيرٌ منك ، وإني لأَنْفَسُ بها على مثلك ؛ فتركه ومضى لحَجِّه ، وجعل يُخْبِرُ مَنْ لَقِيَ من إخوانه ويُعَجِّبهم ، ويدعوهم إلى الخروج ؛ فلَمَّا قضوا حجهم رَجَعَ إلى القرية التي كان بها الشاميّ فقتله ، ثم أتى الموصل فاتبعه قومٌ من أهلها وأهل الجزيرة .

البَلاذريّ : أنساب الأشراف ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417هـ - 1996م ، 19/9 .

(54) إحسان عباس : ديوان شعر الخوارج ، ص 219 .

(55) المصدر السابق ، ص 195 - 196 .

(56) المصدر السابق ، ص 121 .

(57) المصدر السابق ، ص 123 .

(58) المصدر السابق ، ص 125 . وانظر : ص 132 .

(59) أحد زعماء الخوارج ، وقد ظَلَّ الخوارج يقتدون به حتى بعد مصرعه ، وكان قد اتفقَ مع الجيش الذي يحاربه على أنْ يُصَلُّوا صلاةَ الجُمُعَة ؛ فإذا جيشُ العدوِّ – بعد أن اتفق معه – ينقضّ عليه وعلى أتباعه ؛ فيقتلهم وهم سجود .

- سهير القلماوي : أدب الخوارج في العصر الأمويّ ، ص 89.

(60) إحسان عباس : ديوان شعر الخوارج ، ص 62 - 63 .

(61) المصدر السابق ، ص 65.

(62) المصدر السابق ، ص 159- 160 .

(63) المصدر السابق ، ص 74 .

(64) المصدر السابق ، ص 75 .

(65) المصدر السابق ، ص 207 .

(66) المصدر السابق ، ص 265 .

(67) المصدر السابق ، ص 264 .

(68) المصدر السابق ، ص 157 .

(69) المصدر السابق ، ص 19 .

(70) أبو العَتَّاهِيَة : أبو العَتَّاهِيَة ؛ أشعاره وأخباره ، تحقيق شكري فيصل ، دار الملاح للطباعة والنشر ، دمشق ، 1384هـ - 1965م ، ص 626 .

(71)علي بن الجَهْم : ديوان علي بن الجَهْم ، تحقيق خليل مردم ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط2 ،1400هـ - 1980م ، ص 148.

(72) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، طبعة ثالثة منقحة ، 1424هـ - 2003م ، 1625/4 .

(73) عَبَّرَ صلاح عبد الصبور عن تَمَنِّي الحلاج للموت في مسرحيته (مأساة الحلاج) ، في أكثر من موضع .

انظر : صلاح عبد الصبور : مأساة الحلاج ، دار العودة ، بيروت ، 1969م .

(74) الحلاج : الأعمال الكاملة ؛ (التفسير ، الطواسين ، بستان المعرفة ، نصوص الولاية ، المرويات ، الديوان) ، قاسم محمد عباس ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م ، ص 294 .

(75) المُتَنَبِّي : ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، 102/4 .

(76) المصدر السابق ، 4/ 93 - 94.

(77) المصدر السابق ، 241/4.

(78) المصدر السابق ، 34/4.

(79) المصدر السابق ، 281/4 – 282 .

(80) المصدر السابق ، 140/1 .

(81) المصدر السابق ، 45/4- 46 .

(82) أبو فِرَاس الحَمَدَانِيّ : ديوان أبي فِرَاس الحَمَدَانِيّ ، شرح خليل الدوَيهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1414هـ - 1994م ، ص 54 .

(83) المَعَرِيّ : اللزوميات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986م ، 220/1 .

(84) ثريا عبد الفتاح ملحس : القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص 163.

(85) ابن الفارض : ديوان ابن الفارض ، تحقيق فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط2 ، 1980م ، ص 177.

(86) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ؛ نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط2 ، 1424هـ - 2003م ، الفصل الثالث من الباب الأول : الشعر الزهدي في القرن الثاني الهجري ، ص 169 – 236 .

(87) المرجع السابق ، الباب الثاني : النزعات الصوفية في الشعر العربي في أثناء القرن الثالث الهجري ، ص 239 – 394 .

(88) أبو حَيَّان التوحيديّ : الإشارات الإلهية ، حَقَّقَهُ وقَدَّم له عبد الرحمن بدوي ، سلسلة دراسات إسلامية (12) ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1950م ، ص 208 .

(89) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ،377/2 .

(90) المصدر السابق ،656/2 ، 568 .

(91) المصدر السابق ،656/2 .

(92) المصدر السابق ، 539/5 .

(93) إن تَمَنِّي الموت سِمَة من سمات الشعر الرومانسيّ بوجه عام ؛ فالرومانسيّ يُرَحِّبُ بالموت ؛ بحثًا عن السكينة الروحيَّة الخالصة ، بوصفه مُحَرِّرًا مِنْ كُلِّ قيودِ الحياة ، وطريقًا مُوَصِّلاً إلى الخلود ، ويراه لذةً لا تداينه لذة أخرى ؛ فهو يطلب الراحة من عناء الدنيا ، ويريد أن ينتقل إلى حياة أفضل ، إلى عالم الخير والحقّ والجمال والمُثُل الذي ينشده ، إنه يشتهي الموت ؛ لأنه امتداد لسعادته ؛ حيث ينتقل الإنسان من حدود جسمه إلى أن يصير جزءًا من شيء أعظم ؛ فينتقل مما يشبه السجن إلى انطلاق وتحرر كاملينِ , إنه بتطلعه للموت يصل إلى حياة الروح . يقول الشاعر الإنجليزي المُبْدِع جون كيتس (John Keats) في إحدى قصائده : « الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة حقًّا ، ولكن الموت أعمق ، الموت مكافأة الحياة الكبرى » .

انظر : نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط 3، 1967م ، الفصل الثاني : الشعر والموت ، ويتناول مظاهر الولع بالموت في شعر الشابي وكيتس والهمشري وبروك ، ص 270 - 280.

(94) أشرف دعدور : الغربة فى الشعر الأندلسىّ ؛ عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، 1997م ، ص173 – 174 .

(95) ابن عربي : ديوان ابن عربي ، شرح وتقديم نوَّاف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1999م ، ص 430 .

(96) القُشَيرِىّ : الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (75) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م ، 150/1.

(97) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 314/6.

(98) شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1971م ، ص216.

(99) ابن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصباغ الجذامى ، تحقيق محمد زكريا عنانى وأنور السنوسى ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1999م ، ص146.

(100) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(101) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ، ص326.

(102) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية ؛ منهج وتطبيقه ، سميركو للطباعة والنشر، القاهرة ، ط 2، 1983م ، 69/2.

(103) عبد الحكيم حسان : التصوف فى الشعر العربى ، ص331.

(104) عاطف جودة نصر: شعر عمر بن الفارض ؛ دراسة في فن الشعر الصوفي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط1 ، 1982م ، ص272.

(105) نيكلسون : في التصوف الإسلامىّ وتاريخه ، ترجمة أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1956م ، ص101.

(106) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ، ص299.

(107) ابن الصباغ : ديوان ابن الصباغ الجذامي ، ص61.

(108) المصدر السابق ، ص140.

(109) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ، ص48.

(110) الصفدي : الوَافِي بالوَفَيَات ، اعتناء هلموت ريتر ، دار فرانز شتاينر ، ڤيسْبَادن ، ط2 ، 1381هـ - 1962م ، 176/1 .

(111) عاطف جودة نصر : الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983م ، ص357.

(112) المرجع السابق ، ص351.

(113) القشيرى : الرسالة القشيرية ، 178/1.

(114) عاطف جودة نصر: شعر عمر بن الفارض ؛ دراسة في فن الشعر الصوفي ، ص268.

(115) محمود سالم محمد : المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي ، دار الفكر، دمشق ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط1 ، 1417هـ - 1996م ، ص 182 .

(116) زكى مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط1 ، 1938م ، 281/1.

(117) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 44/2 .

(118) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 132/14 .

(119) ابن الخَطِيب : تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق ليڤي پروڤنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 1424هـ - 2004م ، ص 73.

(120) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص 88 - 89.

(121) الأعمى التطيليّ : ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،1409هـ - 1989م ، ص138.

(122) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص 166 .

(123) ابن الزَّقَّاق البَلَنْسِيّ : ديوان ابن الزَّقاق البَلَنْسِيّ ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ - 1989م ، ص 243 .

(124) المصدر السابق ، ص 244 .

(125) أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 1398هـ - 1989م ، ص399 .

(126) السُّيُوطِيّ : بُغْيَة الوُعَاة فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِينَ وَالنُّحَاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1399هـ - 1979م ، 536/1.

(127) ابن الأَبَّار : الحُلَّة السِّيَرَاء ، تحقيق حسين مؤنس ، ذخائر العرب (58) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1985م ، 247/1 .

(128) المصدر السابق ، 147/1 .

(129) ابن الخَطِيب : الإحاطة فِي أَخْبَار غَرْنَاطَة ، شرحه وضبطه وقَدَّمَ له يوسف علي طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ - 2003م ، 90/1.

(130) الغَزَال : شعر يحيى بن حكم الغزال جمع وتوثيق ودراسة علي الغريب محمد الشناوي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2004م ، ص 236 .

(131) الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ : المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح ، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط2 ، ١٩٧٤م ، ص 230.

(132) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، 284/3 .

(133) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 479/5.

(134) قاسم الحسيني : الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري ، الدار العالمية ، بيروت ، د . ت ، ص 220- 208 .

(135) ابن شرف القيرواني الابن : شعر ابن شرف القيرواني (الابن) ، جمع ووثَّق مادته وقدَّم له أشرف محمود نجا ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2007م ، ص 106 .

(136) ابن الأَبَّار: تحفة القادم ، أعاد بناءه وعَلَّقَ عليه إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1406هـ - 1986م ، ص 188 .

(137) ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص555 .

(138) ابن هانئ الأندلسيّ : تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسيّ المغربيّ ، تحقيق زاهد علي ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، القاهرة ، 1352هـ ، ص 422 .

(139) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 602/1 .

(140) ابن خَاقَان : مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، منشورات دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1403هـ – 1983م ، ص 163 – 164 .

(141) الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ : روضة المحاسن وعمدة المحاسن ، ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ (الجزار السرقسطي) ، تحقيق منجد مصطفى بهجت ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، العراق ، ط1 ، 1409هـ - 1988م ، ص 176 .

(142) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 583/5.

(143) المصدر السابق ، 538/5 .

(144) حسين يوسف خريوش : الحاجب المصحفي ؛ حياته وآثاره الأدبية ، حوليات كلية الآداب ، الحولية 19 ، الرسالة 133 ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، 1419هـ - 1999م ، ص 51 .

(145) المرجع السابق ، ص 45 .

(146) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 424/3 .

(147) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص 90 .

(148) المصدر السابق ، ص 106 .

(149) المصدر السابق ، ص 111 .

(150) ابن خَاقَان : قَلائِد العِقْيَان ومحاسن الأعيان ، حَقَّقَهُ وعَلَّق عليه حسين يوسف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 ، 1409هـ - 1989م ، 106/1.

(151) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص 269 .

(152) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 494/5 .

(153) ابن الخَطِيب : ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1989م ، 417/1 .

(154) ابن عَاصِم الغَرْنَاطِيّ : جنة الرضا في التسليم لِمَا قَدَّرَ اللهُ وقضى ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1989م ، 203/2 .

(155) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، بيت الحكمة ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، تونس ، 1988م ، ص 197 .

(156) المصدر السابق ، ص 195 .

(157) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 581/5 .

(158) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة في محاسن أهل الجَزِيرَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1399هـ - 1979م ، 277/1/4 .

(159) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص 434 .

(160) فاطمة طحطح : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط1 ، 1993م ، ص186 .

(161) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص 500 .

(162) المصدر السابق ، ص 417 .

(163) حازم القرطاجني : قصائد ومقطعات ، وتقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1972م ، ص 62 .

(164) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 279/2 .

(165) المصدر السابق ، 279/2 - 280 .

(166) المصدر السابق ، 307/2 .

(167) المصدر السابق ، 595/5 .

(168) ابن الخطيب : نُفَاضَةُ الجِرَابِ فِي عُلالَةِ الاغْتِرَابِ ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، مراجعة عبد العزيز الأهواني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1968م ، ص 297 .

(169) الميداني : مجمع الأمثال ، 81/2 .

(170) المصدر السابق ، 376/2 .

(171) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط2 ، 1385هـ - 1965م ، 131/3 .

(172) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص 90 .

(173) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 492/2 .

(174) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، 284/3 .

(175) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 572/5 .

(176) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، ص 32 .

(177) المرجع السابق ، ص 33 .

(178) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(179) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 343/4 .

(180) زكريا إبراهيم : تأملات وجودية ، دار الآداب ، بيروت ، 1962م ، ص29-30 .

(181) ابن شُهَيد : ديوان ابن شُهَيد الأندلسيّ ، جمعه وحققه يعقوب زكي ، راجعه محمود علي مكي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص 145 .

(182) الحُمَيدِيّ : جُذْوَة المُقْتَبِسِ فِي تاريخ علماء الأَنْدَلُسِ ، تحقق بَشَّار عواد معروف ، محمد بَشَّار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 1429هـ - 2008م ، ص 287 - 288.

(183) ابن الأَبَّار: التكملة لكتاب الصِّلَة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان 1415هـ - 1995م ، 325/1 .

(184) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 415/7 .

(185) عدنان عبيد العلي : شعر المكفوفين في العصر العباسي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1999م ، ص135 .

(186) ابن عبد الملك الأنصاريّ : السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1965م ، ق1 ، ص103 .

(187) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، ص 78- 79 .

(188) عبد الرحمن بدوي : شوبنهور ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1942م ، ص 310 .

(189) الغَزَال : شعر يحيى بن حكم الغزال ، ص112.

(190) ابن عبد ربه : ديوان ابن عبد ربه ، ص 186 .

(191) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 316/4 .

(192) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ، ص188 .

(193) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص 519 .

(194) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 366/5 .

(195) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، ص 126 - 127 .

(196) المرجع السابق ، ص 127 .

(197) زكريا إبراهيم : مشكلة الحب ، مجموعة مشكلات فلسفية (5) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط2 ، 1970م ، ص255 .

(198) المتنبي : ديوان أبي الطيب المتنبي ، 333/2.

(199) ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف ، مكتبة عرفة ، دمشق ، 1349 هـ ، ص 85 .

(200) ابن عبد ربه : ديوان ابن عبد ربه ، ص 141 .

(201) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 7/4 ، 40/7.

(202) هنري بيريس : الشعر الأندلسيّ في عصر الطوائف ؛ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1408هـ - 1988م ، ص 359 .

(203) ابن سَعِيد : المُغْرِب فِي حُلَى المَغْرِب ، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ عليه شوقي ضيف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (10) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1993م ، 192/2 .

(204) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 626/2 .

(205) ابن عبد ربه : ديوان ابن عبد ربه ، ص 75 – 76 .

(206) المصدر السابق ، ص 189 .

(207) المصدر السابق ، ص 71 .

(208) الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ : المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح ، ص 136 .

(209) المصدر السابق ، ص 176 .

(210) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، 438/5- 439 .

(211) ابن عسكر وابن خميس : أعلام مالقة ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، زنقة المامونية ، الرباط ، ط1 ، 1420هـ - 1999م ، ص 203- 204 .

(212) ابن دَرَّاج القسطليّ : ديوان ابن دَرَّاج القسطليّ ، حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط1 ، 1381هـ - 1961م ، ص 239 .

(213) ذكر ابن بسام (ت542هـ) أنه رَثَى أبا جعفر بن اللَّمَائِيّ عندما جاءه نعيه ، ولا بد أن يكون شخصًا آخر ؛ لأنَّ أبا جعفر بن اللمائي توفي سنة 465هـ ، وابن شُهَيد توفي سنة 426هـ .

انظر : ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، 617/2/1 حاشية (1) .

(214) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، 330/1/1 – 331 . لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن شهيد .

(215) المصدر السابق ، 813/2/1 .

(216) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1960م ، ص 217 .

(217) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، 80/4 .

(218) ابن الأَبَّار: تحفة القادم ، ص 233 .

(219) أبي حيان الأندلسي : ديوان أبي حيان الأندلسي ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1969م ، ص153 .

(220) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، 101/1.

(221) الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ : المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح ، ص 149.

(222) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، 423/3 .

(223) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ،254/4.

(224) ابن الأَبَّار : الحُلَّة ،73/2 .

المصادر والمراجع
أولا : المصادر :

*** ابن الأَبَّار– أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضَاعيّ البلنسيّ (ت658هـ) :**

1– الحُلَّة السِّيَرَاء ، تحقيق حسين مؤنس ، ذخائر العرب (58) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1985م .

2– تحفة القادم ، أعاد بناءه وعَلَّقَ عليه إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1406هـ – 1986م .

3– التكملة لكتاب الصِّلَة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان 1415هـ – 1995م .

*** ابن بَسَّام الشَّنْتَرِينيّ – أبو الحسن عليّ (ت542هـ):**

4– الذَّخِيرَة في محاسن أهل الجَزِيرَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1399هـ – 1979م .

*** ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ):**

5– طوق الحمامة في الألفة والألاف ، مكتبة عرفة ، دمشق ، 1349 هـ .

*** ابن حمديس الصقلي– أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس (ت 527هـ):**

6– ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1379هـ – 1960م .

*** ابن خَاقَان – أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسيّ الإشبيليّ (ت535هـ) :**

7– قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حَقَّقَهُ وعَلَّق عليه حسين يوسف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 ، 1409هـ – 1989م .

8– مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، منشورات دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1403هـ – 1983م .

*** ابن الخَطِيب – لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت776هـ):**

9– الإحَاطَة فِي أَخْبَار غَرْنَاطَة ، شرحه وضبطه وقَدَّمَ له يوسف علي طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ – 2003م .

10– تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 1424هـ– 2004م .

11– ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1989م .

12– نُفَاضَةُ الجِرَابِ فِي عُلالَةِ الاغْتِرَابِ ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، مراجعة عبد العزيز الأهواني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1968م .

*** ابن خفاجة – أبو إسحاق إبراهيم (ت533هـ) :**

13– ديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1960م .

*** ابن دَرَّاج القسطلي – أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج (ت421هـ) :**

14– ديوان ابن دَرَّاج القسطليّ ، حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط1 ، 1381هـ – 1961م .

*** ابن الروميّ– أبو الحسن عليّ بن العباس بن جُرَيج (ت283هـ) :**

15- ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، طبعة ثالثة منقحة ، 1424هـ - 2003م .

*** ابن الزَّقَّاق البَلَنْسِيّ – أبو الحسن عليّ بن عطية بن مُطَرِّف (ت530هـ) :**

16- ديوان ابن الزَّقَاق البَلَنْسِيّ ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ - 1989م .

*** ابن زيدون- أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب (ت463هـ) :**

17- ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، 1957م .

*** ابن سَعِيد المَغْرِبِيّ – أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (685هـ) :**

18- المُغْرِب فِي حُلَى المَغْرِب ، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ عليه شوقي ضيف ، سلسلة ذخائر العرب رقم(10) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، 1993م .

*** ابن شرف القيرواني الابن - أبو الفضل جعفر (ت نحو 531هـ) :**

19- شعر ابن شرف القيرواني (الابن) ، جمع ووثَّق مادته وقدَّم له أشرف محمود نجا ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2007م .

*** ابن شُهَيد – أبو عامر (ت426هـ) :**

20- ديوان ابن شُهَيد الأندلسيّ ، جمعه وحققه يعقوب زكي ، راجعه محمود علي مكي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، د . ت .

*** ابن الصَّبَّاغ – أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت بعد سنة 647هـ):**

21- ديوان ابن الصباغ الجذامى ، تحقيق محمد زكريا عنانى وأنور السنوسى ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1999م .

*** ابن عَاصِم الغَرْنَاطِيّ – أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد (ت860هـ) :**

22- جنة الرضا في التسليم لِمَا قَدَّرَ اللهُ وقضى ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1989م .

*** ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ – أبو عمر أحمد بن محمد (ت328هـ) :**

23- ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1407هـ - 1987م .

*** ابن عبد الملك الأنصاريّ الأوسيّ المَرَّاكُشِيّ – أبو عبد الله محمد (ت703هـ) :**

24- السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1965م.

*** ابن عربي – محيي الدين محمد بن علي بن محمد (ت638هـ) :**

25- ديوان ابن عربي ، شرح وتقديم نوَّاف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1999م .

*** ابن عسكر(ت636هـ) وابن خميس (ت بعد639هـ) :**

26- أعلام مَالَقَة ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، زنقة المامونية ، الرباط ، ط1 ، 1420هـ - 1999م .

*** ابن الفارض – شرف الدين أبو حفص عمر (ت632هـ) :**

27- ديوان ابن الفارض ، تحقيق فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط2 ، 1980م .

* **ابن هانئ الأندلسي – محمد (ت362هـ) :**
28- تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسيّ المغربيّ ، تحقيق زاهد علي ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، القاهرة ، 1352هـ .
* **الأصمعي – أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك (ت216هـ) :**
29- الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ،1976م.
* **الأعمى التطيليّ – أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت525هـ) :**
30- ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ – 1989م .
* **إحسان عباس :**
31- ديوان شعر الخوارج ، سلسلة الشعر ديوان العرب رقم (2) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 4 ، 1402 هـ – 1982م .
* **أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ) :**
32- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 1398هـ – 1989م .
* **البَسْطِيّ- عبد الكريم القيسي الأندلسيّ (ت في أواخر القرن التاسع الهجري) :**
33- ديوان عبد الكريم القيسي ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، بيت الحكمة ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، تونس ، 1988م .
* **البَلاذريّ – أبو الحسن أحمد بن يَحْيَى بن جابر (ت279هـ) :**
34- أنساب الأشراف ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417هـ – 1996م .
* **الجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ):**
35- الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط2 ، 1385هـ – 1965م .
* **الجَزَّار السَّرَقُسْطِيّ – أبو بكر يحيى بن محمد (ت515هـ) :**
36- روضة المحاسن وعمدة المحاسن ، ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ(الجزار السرقسطي) ، تحقيق منجد مصطفى بهجت ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، العراق ، ط1 ، 1409هـ – 1988م .
* **حازم القرطاجني – أبو الحسن حازم بن محمد (ت684هـ) :**
37- قصائد ومقطعات ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1972م .
* **حسان بن ثابت (ت54هـ) :**
38- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973م .
* **الحَسَن البَصْريّ – صدر الدين عَلِيّ بن الفَرَج (ت656هـ) :**
39- الحماسة البَصْريَّة ، تحقيق وشرح ودراسة عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1420هـ – 1999م .
* **الحُصْرِيّ القَيرَوَانِيّ – أبو الحسن عليّ بن الغني (ت488هـ) :**
40- المعشرات واقتراح القريح واجتراح الجريح ، تحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى

، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط2 ، ١٩٧٤م .
* **الحلاج – الحسين بن منصور (ت309هـ) :**
41– الأعمال الكاملة ؛ (التفسير ، الطواسين ، بستان المعرفة ، نصوص الولاية ، المرويات ، الديوان) ، قاسم محمد عباس ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002م .
* **الحُمَيدِي – أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فَتُّوح بن عبد الله الأزدي (ت488هـ) :**
42– جُذْوَة المُقْتَبِسِ فِي تاريخ علماء الأَنْدَلُسِ ، تحقق بَشَّار عواد معروف ، محمد بَشَّار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 1429هـ – 2008م .
* **أبو حَيَّان التوحيديّ – عَلِيّ بن مُحَمَّد بن العَبَّاس (ت414هـ) :**
43– الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ت .
44– الإشارات الإلهيَّة ، حَقَّقَهُ وقَدَّم له عبد الرحمن بدوي ، سلسلة دراسات إسلامية (12) ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1950م .
* **أبو حَيَّان الأندلسيّ – مُحَمَّد بن يُوسُف (ت745هـ) :**
45– ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1969م .
* **الخنساء – تماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو الشريد السلمية (ت 24هـ):**
46– أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، اعتنى بضبطه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1896م .
* **السُّيُوطِيّ – جَلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) :**
47– بُغْيَة الوُعَاة فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِينَ وَالنُّحَاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 1399هـ – 1979م .
* **الصَفَدِيّ – صَلاح الدِّين خَلِيل بن أَيبك (ت764هـ) :**
48– الوَافِي بالوَفَيَات ، اعتناء هلموت ريتر ، دار فرانز شتاينر ، ڤيسْبَادن ، ط2 ، 1381هـ – 1962م .
* **صفوان التجيبيّ المرسيّ – أبو بحر صفوان بن إدريس (ت598هـ) :**
49– زَاد المُسَافِر وغُرَّة مُحَيَّا الأدب السَّافِر ، نشر عبد القادر محداد ، ط بيروت ، 1358هـ – 1939م .
* **أبو العَتَاهِيَة – أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيسَان (ت211هـ) :**
50– أبو العَتَاهِيَة ؛ أشعاره وأخباره ، تحقيق شكري فيصل ، دار الملاح للطباعة والنشر ، دمشق ، 1384هـ – 1965م .
* **عُرْوَة بن الوَرْد :**
51– ديوان عُرْوَة بن الوَرْد ؛ أمير الصعاليك ، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ – 1998م .
* **علي بن الجَهْم – أبو الحسن (ت249هـ):**
52–ديوان علي بن الجَهْم ، تحقيق خليل مردم ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط2 ،1400هـ – 1980م.
* **عنترة بن شداد بن قُراد العبسي :**

53- شرح ديوان عنترة ، الخطيب التَّبريزي ، قَدَّمَ له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طرَاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ - 1992م .

*** الغزال - يَحْيَى بن حَكَم البَكْرِيّ الجَيَّانِيّ (ت255هـ) :**

54- شعر يَحْيَى بن حَكَم الغَزَال ، جمع وتوثيق ودراسة علي الغريب محمد الشناوي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2004م .

*** أبو فِرَاس الحَمَدَانِيّ - الحارث بن سعيد (ت357هـ) :**

55- ديوان أبي فِرَاس الحَمَدَانِيّ ، شرح خليل الدوَيهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1414هـ - 1994م .

*** القُشَيرِيّ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت465هـ):**

56- الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (75) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995م .

*** قيس بن الخطيم - أبو يزيد قيس بن ثابت بن عَدِيٍّ :**

57- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، 1967م .

*** مجموعة شعراء :**

58- ديوان الهُذَلِيِّينَ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1385هـ - 1965م .

*** المُتَنَبِّي - أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ):**

59- ديوان أبي الطيب المتنبي ؛ بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

*** المعتمد بن عباد - أبو القاسم محمد بن عباد (ت488هـ):**

60- ديوان المعتمد بن عباد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط4 ، 1423هـ - 2002م .

*** المَعَرِيّ - أَبُو العَلاء أَحْمَد بن عَبْد الله بن سُلَيمَان (ت449هـ):**

61- اللزوميات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986م .

*** المقَّرِيّ التِّلْمِسَانِيّ - أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ) :**

62- نَفْح الطِّيب مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1408هـ - 1988م .

*** الميداني - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت518هـ):**

63- مجمع الأمثال ، قدَّمَ له وعلق عليه نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1408هـ - 1988م .

ثانيًا : المراجع العربية :

*** إبراهيم مدكور :**

64- في الفلسفة الإسلامية ؛ منهج وتطبيقه ، سميركو للطباعة والنشر، القاهرة ، ط 2، 1983م .

*** أحمد محمد عبد الخالق :**

65- قلق الموت ، سلسلة عالم المعرفة (111) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 1987م .

66- سيكولوجية الموت والاحتضار ، مجلس النشر العلمي ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، الكويت ، ط1 ، 2005م .
* **أشرف دعدور :**
67- الغربة فى الشعر الأندلسىّ ؛ عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، 1997م .
* **ثريا عبد الفتاح ملحس :**
68- القيم الروحيَّة في الشعر العربيّ قديمه وحديثه ، دار الكتاب اللبنانيّ ، بيروت ، لبنان ، د. ت .
* **حسن أحمد النوش :**
69- التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ- 1992م .
* **حسن حماد :**
70- الإنسان وحيدًا ؛ دراسة في مفهوم الاغتراب في الفكر الوجودي المعاصر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 1995م .
* **زكريا إبراهيم :**
71- مشكلة الإنسان ، مجموعة مشكلات فلسفية (2) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت .
72- مشكلة الحب ، مجموعة مشكلات فلسفية (5) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط2 ، 1970م .
73- تأملات وجودية ، دار الآداب ، بيروت ، 1962م .
* **زكي مبارك :**
74- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط1 ، 1938م .
* **سهير القلماوي :**
75- أدب الخوارج في العصر الأمويّ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1945م .
* **شوقي ضيف :**
76- فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1971م .
* **صلاح عبد الصبور :**
77- مأساة الحلاج ، دار العودة ، بيروت ، 1969م .
* **عاطف جودة نصر:**
78- شعر عمر بن الفارض ؛ دراسة في فن الشعر الصوفي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط1 ، 1982م .
79- الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983م .
* **عبد الحكيم حسان :**
80- التصوف في الشعر العربي ؛ نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط2 ، 1424هـ - 2003م .
* **عبد الرحمن بدوي :**
81- شوبنهور ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1942م .
* **عدنان عبيد العلي :**

82- شعر المكفوفين في العصر العباسي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1999م .

* **كمال اليازجي :**

83- جذور فلسفية في الشعر العربي القديم والمولد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ - 1992م .

* **فاطمة طحطح :**

84- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط1 ، 1993م .

* **قاسم الحسيني :**

85- الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري ، الدار العالمية ، بيروت ، د . ت .

محمود سالم محمد :

86- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي ، دار الفكر، دمشق ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط1 ، 1417هـ- 1996م .

* **نازك الملائكة :**

87- قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط 3، 1967م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

* **بيريس ، هنري :**

88- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ؛ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1408هـ - 1988م .

* **شاك ، فون :**

89- الشعر العربي في إسبانيا وصقلية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1991م .

* **شورون ، جاك :**

90- الموت في الفكر الغربيّ ، ترجمة كامل يوسف حسين ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة عدد (76) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، إبريل ، 1984م .

* **فرويد ، سيجموند :**

91- ما فوق مبدأ اللذة ، ترجمة إسحاق رمزي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1994م .

* **فلهوزن ، يوليوس :**

92- أَحْزَابُ المُعَارَضَة السِّيَاسِيَّة الدينيَّة في صدر الإسلام ؛ الخوارج والشيعة ، ترجمة عن الألمانية عَبد الرحمن بَدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958م .

* **نيكلسون ، رينولد . أ:**

93- في التصوف الإسلاميّ وتاريخه ، ترجمة أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1956م .

رابعًا : الدوريات :

* **أحمد درويش :**

94- الشاعر واستئناس الموت ؛ قراءة في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مج 15 ، ع 3 ، خريف 1996م .

* **حسين يوسف خريوش :**
95- الحاجب المصحفي ؛ حياته وآثاره الأدبية ، حوليات كلية الآداب ، الحولية 19 ، الرسالة 133 ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، 1419هـ - 1999م .

A Summary of the Search: Wishing for death in The Andalisian poetry

This search aims at detecting the reasons that made some Andalisian poets wish for death eagerly because of feeling lack of fun in life which has nothing worthy to make man live man live for .

The Andalusian poet saw that it is better for him to die rather than live . those who wish to die undoubtedly had a great amount of worry and anxiety as he was surrounded by worries all around him and

led him to further than death, Wishing for death; as he tasted as much types of pain and depression that made him deeply desperate in the soul . it is clear that the utmost of the desire to die may involves great cling to life and start a sensitive feeling of it .

The search contains a preface , two studies and a conclusion . The preface detects the best pleasures in the Andalisian poetry . The first study detects wishing for death in the oriental poetry and the Second study detects the reasons for wishing for death in the Andalisian poetry .

The reason for wishing for death are numerous including (corruption of the time , the fall of cities , failing to achieve wishes , humiliation , imprisonment , alienation , poverty , illness , blindness , old age , lovers , farewell , son death , friends , farewell) .

I have used the Analytical descriptive approach to explain the texts and explain the aesthetical values in them and consequently judge them .